حقيقة لاهوت

يسوع المسيح

جوش ماكدويل و بارت لارسون

المحتويات

الزوج (العريس)

الراعي

الخالق

معطي الحياة

غافر الخطايا

الرب شافينا

٣. يمتلك يسوع المسيح كل صفات الله

كلّي الوجود

كلّي العلم

كلّي القدرة

الوجود السابق (الأزلي)

السرمدية -الأزلية الأبدية

عدم التغير

٤. يسوع المسيح يمتلك سلطان الله

قبوله للعبادة

سلطانه لإقامة نفسه من الأموات

تَكَلّمه كالله

مفردات كتابية

٥. أصبح الله إنساناً في يسوع المسيح

يسوع المسيح الابن

ابن الله

٦. لدينا شهادة الكنيسة الأولى

قانون الإيمان النيقوي

٧. ما هي بعض الاعتراضات على ألوهية المسيح؟

«أبي أعظم مني»

اللـــه الآب هو رأس المسيح

خضوع يسوعٍ للآب

يسوع مولوداً

يسوع كان إنساناً

دُعي يسوع بكر الخليقة

يسوع واللـــه واحدٌ في الاتفاق أو القصد

كانت ليسوعٍ معرفة محدودة

«ليس صالحاً إلا اللـــه وحده»

٨. هل المسيح هو الرب إلهك؟

٩.كيف اكتشف الكاتبان الحياة الجديدة في المسيح؟

بارت لارسون

جوش ماكدويل

بداية جديدة

تغيرات

رجل أبغضته

الكراهية تتحول إلى محبة

إنها فعّالة

القرار لك

إنها قضية شخصية

عرض أمامك

المبادئ الروحية الأربعة

مقدمة

في بداية دراستي للمسيحية كنت اهدف إلى تأليف كتاب يهزأ بها ويسخر منها. وكنت أعتقد أنني سأتعامل إما مع أيديولوجية (عقيدة لاهوتية أو مع فرضية فلسفية صيغت في تعابير واصطلاحات لاهوتية. لم تكن المسيحية بالنسبة لي إلاّ ديانة مؤسسة على تعاليم مؤسسها، وكنت أعتقد أنها تحوي مبادئ دينية بسيطة يحيا بها المرء، أو مقياساً يحاول الوصول إليه.

غير أني اكتشفت، بعد بحث موسع، أن المسيحية ليست ديناً يحاول فيه الناس رجالاً ونساءً أن يصلوا إلى الله من خلال أعمالهم الصالحة، وأنها ليست طاعة لنمط من أنماط الطقوس الدينية. بل هي بالأحرى علاقة مع الله الحي من خلال ابنه يسوع المسيح. وما أدهشني أنني وجدت شخصاً، لا ديناً. هذا الشخص قال أقوالاً، وفعل أفعالاً وأطلق تصريحات مذهلة عن نفسه، مع مطالب عميقة بعيدة المدى على حياتي. كان يسوع مختلفاً عن كل ما توقعته. كان القادة الدينيون الآخرون يقدّمون تعاليمهم ويضعونها في الواجهة. أما يسوع فقدّم نفسه. كان القادة الآخرون يسألون، «ما مدى استجابتكم لتعاليمي؟» أما يسوع فكان يسأل «ما هي علاقتكم بي؟»

أدّى بي صراعي الشخصي إلى مواجهة مع شخص - يسوع المسيح.
لكن هل كان فعلاً كما قال عن نفسه؟
لقد بينّت في مؤلفاتي الأخرى (كتاب وقرار، نجار وأعظم، عامل القيامة،

الخ ..) بعض البراهين الكتابية والتاريخية التي أقنعتني أن يسوع المسيح هو ابن الله. لقد أحسست منذ كتابتي لهذه المؤلفات أن هناك حاجة لكتاب يركِّز على ما يقوله يسوع في الكتاب المقدس الذي يؤكد أنه الله الذي صار إنساناً، الله المتجسد. دعوني أعرض لكم مع زميلي بارت النتائج التي توصلنا إليها في دراستنا.

جوش ماكدويل

الفصل الأول

يسوع المسيح هو الله

لو طلب أحدهم إلى مجموعة من الخبراء الدينيين الذين ينتمون إلى عقائد أو ديانات مختلفة أن يشتركوا في ندوة عن طبيعة الله وكيفية إعلانه عن ذاته، لحصل على آراء مختلفة تصل في عددها إلى نفس عدد هؤلاء الأشخاص، وستتناقض الإجابات عن بعض الأسئلة مع إجابات الآخرين. وإذا افترضنا بأن الحقيقة غير نسبية، فلا يمكن أن تكون جميع هذه الإجابات صحيحة. فمثلاً، إذا قال أحدهم بأن الله إله شخصي وقال آخر بأنه غير شخصي، فمن الواضح إذاً إن أحدهما مخطئ. فمن يستطيع أن يقول القول الفصل في طبيعة الله؟ لا بد أن يكون هذا الشخص الوحيد هو الله نفسه. وماذا يحدِث لو أن أحد هؤلاء الأعضاء المشتركين في الندوة وقف وقال، «حتى أُزيل كل هذا الارتباك وسوء الفهم حول الله، فإني أعلن لكم بأني أنا الله! أنا هو الطريق والحق والحياة!» إن مثل هذا الزعم يدخل بنا إلى دائرة الأمور التي يمكن التحقق منها. فإما أن يكون هذا الشخص مصاباً بالذّهان أو الاضطراب العقلي ويعاني من جنون العظمة وأوهامها، وإما أن يكون مخادعاً يحاول أن يجعل الناس يصدقون أكبر كذبة في التاريخ، وإما أن يكون الله بالفعل.

هذا هو تماماً ما قاله يسوع عن نفسه. فليس في مقدورنا أن نقول إن يسوع كان «مجرد» إنسان صالح أو «مجرد» معلم صالح. فالمعلمون الأخلاقيون الصالحون لا يمتهنون الكذب، سواء كانوا متعمدين أو غير متعمدين ذلك خاصة إذا كان الموضوع يتعلق بكونهم الله العلي. وهم لا يضعون أنفسهم كموضوع للإيمان والعبادة أو يجعلون ألوفاً لا تحصى من الناس تموت من أجل إيمانها باسمهم. دعونا نضع هذه الأفكار نصب أعيننا ونحن ندرس بعض الطرق التي يمكننا بواسطتها أن نقرر ما هو حق بالنسبة لله.

الله مُعلَن

يؤمن مؤلفا هذا الكتاب بأن اللـه أعلن عن نفسه بطرق متنوعة. لكن يمكن اختبار كل طريقة منها اختباراً موضوعياً بواسطة أسمى إعلانين له وهما الكتاب المقدس وشخص يسوع.

فيما يتعلق بالكتاب المقدس، فإنه يختلف عن غيره من الكتابات المقدسة الأخرى بأنه يقول بشكل قاطع لا يحتمل اللبّس بأنه وحده كلمة اللـه. إنّ معظم الأشخاص المهتمين بموضوع ألوهية المسيح يقبلون الكتاب المقدس كوحي من اللـه. ولهذا فإننا سنفترض، لأغراض كتابنا هذا بأن الكتاب المقدس موثوق به تاريخياً، وأنه كلمة اللـه لنا، وأنه الدليل الوحيد الصادق لتقرير ما إذا كان المسيح بالفعل هو اللـه المتجسد أم لا.

لنكن صريحين حول سبب إحساسنا بأهمية هذه النقطة بالذات. إن الغالبية العظمى للجماعات التي تنكر لاهوت المسيح، على الرغم من امتداحها للكتاب المقدس امتداحاً شفوياً غير قلبي، تضع عادة كتبها المقدسة، في نفس مركز الكتاب المقدس أو فوقه. وهم بهذا ينكرون غالباً نفس ما يدعون الإيمان به، ألا وهو المصدر التاريخي الرئيسي لكل تعاليم يسوع، العهد الجديد. (فلماذا تدعي أنك مسيحي أو متعاطف مع المسيحية إلاّ إذا كنت مستعداً لتصديق ما علّمه يسوع حقا؟)

يقول بعضهم بأنه تم تلطيف أو تخفيف الكتاب المقدس عبر القرون مما خلق حاجة لظهور إعلانات جديدة ضرورية. غير أن هذا موقف لا يمكن الدفاع عنه أيضاً. فهناك ما يزيد عن ٢٤،٦٠٠ مخطوطة جزئية أو كاملة من مخطوطات العهد الجديد. (وثاني أفضل مخطوطة تاريخية موثقة هي الإلياذة والأوديسا التي كتبها هوميروس. وليس هناك منها إلاّ ٦٤٣ مخطوطة فقط). وحتى لو تم تدمير كل مخطوطات العهد الجديد فإنه بإمكاننا إعادة تشكيل أو صياغة كل العهد الجديد، باستثناء

حوالي إحدى عشر آية، وذلك من كتابات آباء الكنيسة الأولى قبل ٣٢٥م.
حتى إن المؤرخين غير المسيحيين مضطرون للاعتراف بأن الكتاب المقدس، حسب كل المقاييس العلمية والتاريخية المطبقة على أية وثيقة تاريخية، دقيق بنسبة تزيد عن تسع وتسعين في المائة. يستطيع أي شخص أن يختلف مع رسالته، ولكن ليس مع صحته تاريخياً.

يصرّح الكتاب المقدس بأنه صاحب السلطان الأخير في تقرير الأمور العقائدية الصحيحة. يقول الوحي الإلهي في ٢ تيموثاوس ١٦:٣،١٧ «كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح.» ويعتقد المسيحيون بأنه يجب رفض أي كتاب أو تعليم من شأنه تغيير مضمون الكتاب المقدس. وتؤكد كلمة الله هذه النقطة. إذ كتب يهوذا ٣ قائلاً ... «أكتب إليكم واعظاً أن تجتهدوا لأجل الإيمان المُسَلَّم مرة للقديسين.» ولا يسمح الكتاب المقدس بوجود أية تعاليم أخرى من شأنها أن تغير من الكتاب المقدس أو تضيف إليه. يقول بولس رسول المسيح «ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به، فليكن أناثيما (ملعوناً).» غلاطية ٨:١ (قارن مع رؤيا ١٩:٢٢، تثنية ٢:٤) «وان كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحيوة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب.»

فإذا أرادت مصادر أخرى أن تدّعي لنفسها الوحي الإلهي كما يفعل الكتاب المقدس، فإن عليها أن تقبل أن تقاس في ضوء الكتاب المقدس. فالله لا يمكن أن يناقض نفسه. وهكذا، لا يجب أن يتناقض أي شيء مما كتبه أو قاله الأشخاص الذين جاءوا بعد المسيح مع ما قاله الكتاب المقدس الذي نعرف أنه صحيح. وإذا حدث مثل هذا التناقض، فإنه يصبح واضحاً لنا انهم لا يتكلمون بوحي من الله سواء كان ذلك كتابةً أو شفاهةً.

وفي دراستنا لألوهية المسيح، فإن القضية ليست ما إذا كانت ألوهية المسيح أمراً يسهل الإيمان به أو حتى فهمه، ولكن القضية هي ما إذا

كانت كلمة الله تُعلّم هذا الأمر أم لا. فإذا بدت لنا الفكرة لأول وهلة غير منسجمة مع المنطق أو الفهم البشري فإن ذلك لا يلغي بشكل آلي إمكانية صحتها. فعالمنا مليء بأشياء يصعب علينا كبشر فهمها الآن (كالجاذبية وطبيعة الضوء والنجوم الزائفة) لكنها تظل صحيحة وحقيقية. يعلّم الكتاب المقدس أن العقل البشري لا يستطيع أن يستوعب الله (أيوب ١١:٧؛ ٢:٤٢-٦؛ مزمور ٣:١٤٥؛ إشعياء ١٣:٤٠؛ ٨:٥٥,٩)؛ «لأن أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم.» يقول في (رومية ٣٣:١١-٣٦) «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً أو من سبق فأعطاه فيكافأ لأن منه وبه وله كل الأشياء له المجد إلى الأبد آمين.» ولهذا يجب أن يسمح لله بان يقول الكلمة الفصل عن نفسه، سواء استطعنا أن نفهم ما يقوله فهماً كاملاً أم لا.

يقول الكتاب المقدس فيما يتعلق بإعلان الله عن نفسه في شخص يسوع،

«الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عمل العالمين، الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عبرانيين ١:١-٣).

يسوع المسيح هو كلمة الله الحي. وهو في شخصه يعلن الآب لنا ويجعله أكثر شفافية. فعندما طلب منه أحد أتباعه قائلاً «أرنا الآب وكفانا» (يوحنا ٨:١٤). أجاب يسوع «أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني...؟ الذي رآني فقد رأى الآب» (يوحنا ٩:١٤).كما دعي بولس يسوع «صورة الله غير المنظورة» (كولوسي ١٥:١). وهكذا فإن النظر والاستماع إلى يسوع بمثابة النظر والاستماع إلى الله.

ما هي القضايا المطروحة ؟

إذا كان المسيح هو اللـه في هيئة انسان، فإنه دون غيره من رجال التاريخ، يستحق إصغاءنا وإجلالنا بل عبادتنا. فهذا يعني أن اللـه الذي خلق المجرّات والسديم والنجوم الزائفـة، ونثر مئات الشموس في الفضاء، أصبح إنساناً، وعاش ومشى على أرضنا، ومات على أيدي خليقته. وهذا يعني أيضاً أن موته أكثر بكثير من مجرد موت إنسان صالح. لأنه سيكون أسمى ذبيحة على مر العصور تُظهر محبة لا يمكن سبر غورها أو استقصاء أبعادها. وان تعاملنا مع يسوع على انه مجرد إنسان (أو حتى إله) تحت هذه الظروف سيكون تجديفاً. وإذا لم يستطع المرء أن يكيّف حياته حسب تعاليمه، فإن هذا يعني أن معنى الحياة سيفوته.

ومن ناحية أخرى، إذا لم يكن يسوع هو اللـه، وكان مجرد كائن أدنى من اللـه فإن المرء يمكن أن يحس بالعرفان له من أجل حياته وموته وتعاليمه. لكن توجيه العبادة له سيكون خطأً جسيماً لأنه سيكون في هذه الحالة صنماً يحتل مكان اللـه. والكتاب المقدس واضح حول موضوع عبادة الأصنام والأوثان. فاللـه يقول بأنه لا يعطي مجده لآخر (إشعياء ٤٢:٨؛ ٤٨:١١)، «أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات،» وبأنه ليست هناك أية آلهة غيره (إشعياء ٤٥:٥،٢١،٢٢؛ إرميا ١٠:٦؛١كورنثوس ٨:٤-٦)، وبأن علينا أن نعبد اللـه وحده (تثنية ٦:١٣،١٤؛ متى ٤:١٠). إذاً، فإما أن يكون يسوع هو اللـه أو لا يكون. وإن الإيمان به على نحو خاطئ سيكون إما شكلاً من أشكال التجديف أو عبادة الأوثان.

ويمكن أن يصبح النقاش أكثر تعقيداً اعتماداً على ما تعلّمه الشخص. ويمكن أن تقدم الحجج على ألوهية المسيح أو ضدها. فمثلاً إذا عُلّم شخص بأن اللـه هو شخص أو أقنوم واحد وان يسوع المسيح كائن

مخلوق، فإنه سيجد في قراءته الأولى للكتاب المقدس أعداداً تدعم ذلك الموقف. ومن ناحية أخرى، إذا عُلّم شخص بأن الله كائن سام يضم الآب والابن والروح القدس، وبأن الابن تخلى عن مركز المساواة ضمنً الذات الإلهية ليصبح إنساناً في شخص يسوع المسيح، فإنه سيجد فقرات كتابية تدعم هذا الموقف.

فالقضية إذاً ليست أي موقف منهما يمكن الدفاع عنه بوضوح، بل هي بالأحرى أي موقف منهما يمتلك أفضل الأدلة، وأي موقف منهما هو ما يعلِّمنا إياه الكتاب المقدس.

في اعتبارنا لكلا الموقفين، فإننا نؤمن بأننا قادرون على إعطاء ردود أكثر من كافية على جميع الأعداد المستخدمة للتدليل على أن يسوع هو الله. وسنظهر أنّ الكتاب المقدس يعزو للمسيح كل اسم رئيسي وصفه ولقب مما يعزى لله، وسنثبت من الكتاب المقدس أنّ يسوع قَبِل العبادة ووُجِهت إليه الصلوات، وسنقدم ردوداً على كل الحجج المضادة الرئيسة. وسنوثق من تاريخ الكنيسة (قبل مجلس نيقية في عام ٣٢٥م والذي أصبح الإيمان بألوهية المسيح منذ انعقاده الموقف الرسمي للكنيسة) بأن الإيمان بألوهية المسيح كان دائماً وأبداً هو الموقف التقليدي المستقيم.

ومن الواضح انه لا يمكن أن يكون كلا الموقفين صحيحاً. وكان من الممكن أن يكون الأمر اكثر سهولة لو كانت القضية مجرد قضية إخلاص ولكنها ليست كذلك. فهي قضية أي الموقفين هو الصحيح (رومية ١٠:٢) «لأنني أشهد لهم أنّ لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة.»

تعريف المصطلحات

إنّ وجود تعريفات صحيحة لطبيعة الله وطبيعة الثالوث وشخص يسوع المسيح وطبيعته شرط مسبق لازم لفهم كثير من الفقرات الكتابية المتعلقة بألوهية المسيح.

١. الله: يقول الكتاب المقدس بأن الله كائن ذو وجود شخصي وهو عاقل ومحب وعادل وأمين وأبدي وخلاق، وأنه في تفاعل حيوي مع خليقته. ويمكن تلخيص صفات الله إلى مجموعتين: (صفات عامة وصفات أدبية أخلاقية). يقول روبرت باسا نتينو «بأن الله (حسب صفاته العامة) فريد وأبدي وغير متغير وكلي القدرة وكلي العلم والوجود وثالوثي الأبعاد وروح وذو وجود شخصي.» ويضيف بأن «صفات الله الأدبية الأخلاقية تتضمن قداسته وبره ومحبته وحقه.» وتعلّم المسيحية بأنه يحفظ الكون ويحكمه بشكل كامل السيادة وأنه،كما سنبين، تجسد في يسوع الناصري.

٢. الثالوث: من بين كل ما هو واقع وموجود، فإن الله وحده ثلاثي الشخصية أو ثالوثي. وحين نقول إن الله ثالوث فإننا بذلك نعطي وصفاً لنظرة الكتاب المقدس الى الله، تلك النظرة المشتقة من مشاهد متلاحقة من الفقرات الكتابية التي تصف طبيعة الله الشخصية. ونعني بكلمة ثالوثي، التي نشتق منها مصطلح الثالوث الأقدس، بأن الله يعلن ذاته باستمرار على انه موجود أبدياً في ثلاثة أقانيم (أشخاص): (الآب والابن والروح القدس). وتشكل الأقانيم الثلاثة الذات الإلهية أو الله، غير أنه لا يوجد (إلاّ إله واحد).

ونحن بذلك لا نعني ما يلي:

(١) هناك إله واحد وثلاثة آلهة.

(٢) هناك اله واحد وأقنوم واحد بثلاثة أسماء أو حالات يتجلى فيها.

(٣) هناك اله واحد وأقنوم واحد صار ثلاثة أقانيم منفصلة متتابعة.

(٤) هناك ثلاثة آلهة يشكلون عائلة واحدة.
(٥) هناك اله واحد مصاب بانفصام الشخصية.

ويمكن تلخيص عقيدة الثالوث الأقدس الكتابية كما يلي: يتألف الله الحقيقي الواحد كما هو واضح في (إشعياء ٤٣:١٠؛ تثنية ٦:٤)، من الآب والابن والروح القدس. ويدعى كل عضو في الذات الالهية «الله.» فالآب يحمل اسم «الله» (غلاطية ١:١؛ تيطس ١:٤؛ الخ).كما يُدعى الابن أو الكلمة بشكل متكرر «الله» في (يوحنا ١:١،١٤؛ أعمال ٢٠:٢٨؛ يوحنا ٢٠:٢٨؛ تيطس٢:١٣؛ عبرانيين١:٨؛ الخ). كما يُعرّف الروح القدس على انه «الله» في مواضع مختلفة من الكتاب المقدس (أعمال ٥:٣-٤؛ ١يوحنا ٤:٢-٣؛ عبرانيين١٠،١٦:١٥). ونرى مفهوم الوحدة ضمن الثالوث في أعداد مثل متى ٢٨:١٩ حيث يشكل الآب والابن والروح القدس «اسماً واحداً» (بصيغة المفرد في اللغة اليونانية).
ولأغراض هذا الكتاب، فإننا لا نحاول الدفاع عن عقيدة الثالوث الأقدس. فعندما يؤمن المرء بلاهوت المسيح، لا يعود الإيمان بوجود الله كالآب والابن والروح القدس في العادة يُشكّل مشكلة. أما بالنسبة للشخص الذي يريد أن يبحث في ما يقوله الكتاب المقدس عن الثالوث، فإن هناك أعداداً كثيرة يمكن دراستها، وسنذكر عدداً قليلاً منها (متى ٣،١٧:١٦؛ مرقس ١:٩-١١؛ لوقا ١:٣٥؛ ٣،٢٢:٢١؛ يوحنا ٣:٣٤-٣٦؛ ١٤:٢٦؛ ١٦:١٣-١٥؛ أعمال ٢،٣٣،٣٨،٣٩:٣٢؛ رومية ١٥،٣٠:١٦؛ ١كورنثوس ١٢:٤-٦؛ ٢كورنثوس ٣:٤-٦؛ ١٣:١٤؛ أفسس ١:٣-١٤؛ ٢:١٨-٢٢؛ ٣:١٤-١٧؛ ٤:٤-٦؛ ٢ تسالونيكي ٢،١٤:١٣؛ ١تيموثاوس ٣،١٦:١٥؛ عبرانيين ٩:١٤؛ ١٠:٧،١٠-١٥؛ ١بطرس ١:٢).
٣. يسوع المسيح: «يسوع المسيح» اسم ولقب في نفس الوقت. واسم يسوع مشتق من الصيغة اليونانية للاسم يشوع الذي يعني «الله المخلّص» أو «الرب يخلّص.» ولقب المسيح مشتق من الكلمة اليونانية للمسيّا (أو المشيخ، العبرية - دانيال ٩:٢٦) وتعني «الممسوح.» ويتضمن

استخدام لقب المسيح وظيفتين هما الملك والكاهن. ويشير هذا اللقب إلى يسوع كالكاهن الموعود والملك في نبوءات العهد القديم.
كما نؤمن أن ليسوع طبيعتين: بشرية وإلهية، وهكذا فإننا نؤمن أنّ يسوع كامل الألوهية (في طبيعته) وكامل الإنسانية - فهو الله الذي ظهر في هيئة بشرية.
يصف الكتاب المقدس طبيعة يسوع المزدوجة كإله وإنسان على النحو التالي:
« فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذْ كان في صورة لله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد ائراً في شبه الناس. وإذْ وُجِد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى لموت موت الصليب. لذلك رفّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي جثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض يعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (فيلبي ٢:٥-١١).
سنحاول بعد هذه التعريفات لله والثالوث ويسوع، أن نجيب عن سؤال آخر قبل أن نبدأ في دراسة البراهين الكتابية على ألوهية المسيح.

لماذا أصبح الله إنساناً؟

كيف يمكن لكائنات بشرية محدودة مثلنا أن تفهم الله غير المحدود؟ إن من الصعب على أيّ منا أن يستوعب معاني أو أفكاراً مجردة مثل الحق أو الخير (الصلاح) أو الجمال بدون وجود أمثلة منظورة لها. فنحن نعرف الجمال عندما نراه في شيء جميل، والصلاح عندما نراه مركّزاً في شخص صالح، وهكذا. لكن بالنسبة لله، كيف يمكن لأي شخص أن يفهم طبيعته؟

يمكننا ذلك إلى حد ما إذا قام الله بطريقة ما بتحديد نفسه في شكل إنسان يمكن للكائنات البشرية أن تفهمه. وعلى الرغم من أن هذا الإنسان لن يعبِّر عن أبدية الله ووجوده الكلي لعدم توفر الوقت أو المجال لذلك فإنه سيستطيع أن يعبر تعبيراً منظوراً عن طبيعة الله. تلك هي رسالة العهد الجديد، قال بولس عن المسيح «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كولوسي ٢:٩). أصبح يسوع إنساناً حتى يتمكن البشر من أن يفهموا الله اللامتناهي بعض الشيء.

وهناك سبب آخر جعل الله يختار أن يصبح انساناً، وهو جَسْر الهوة بين الله والجنس البشري. ولو كان يسوع المسيح إنساناً فقط أو مجرد كائن مخلوق، لبقيت تلك الهوة الواسعة السحيقة بين الله والإنسان، بين اللامحدود والمحدود، بين الخالق والمخلوق، بين القدوس والفاجر. وما كان لنا أن نعرف الله لو لم ينزل إلينا. وما كان في مقدور أي كائن مخلوق أن يجسر الهوة الهائلة بين الله والبشر، أكثر مما هو في مقدور قطعة فخار أن تطمح إلى فهم الفخاري الذي صنعها والوصول إلى مستواه. وقد نزل الله إلينا مدفوعاً بمحبته. أراد أن يفتح طريقاً لكي يعطي مجالاً لجميع الناس أن يعرفوه.

الفصل الثاني

يسوع المسيح يمتلك أسماء الله وألقابه

إن أقوى حجة لألوهية المسيح هي تلك التي أثارت سخط معاصريه أنفسهم. فقد اتخذ لنفسه كل الأسماء والألقاب التي ينسبها العهد القديم لله، وسمح للآخرين أيضاً أن يدعوه بنفس الأسماء والألقاب. وعندما أطلق يسوع على نفسه الأسماء الخاصة بالذات الإلهية، غضب رؤساء اليهود إلى درجة حاولوا معها قتله بتهمة التجديف. ولم يكن لدى السلطات اليهودية أي شك في ما رمى إليه المسيح. فقد فهموا أن هذا المعلم الجليلي يدّعي أنه الله العلي.

ويمكن للمرء أن يعترض هنا قائلاً بأن اتخاذ يسوع لهذه الألقاب الإلهية لم تجعله واحداً مع الله أو الله نفسه. فقد يمتلك عدة أشخاص نفس الاسم أو اللقب. وقد يكون «فوزي» مثلاً رجلاً وزوجاً وصديقاً ومساعداً لمدير المبيعات في نفس الوقت. غير أن بعض الأسماء والألقاب مقصورة على شخص واحد فقط. فمثلاً لا يمكن أن يكون هنالك في نفس الوقت إلاّ رئيس واحد للولايات المتحدة الأمريكية. وهناك كثير من الأسماء والألقاب التي يطلقها الكتاب المقدس على يسوع من النوع الذي لا يحق إلاّ لشخص واحد أن يمتلكه - وهو الله.

يـهــوه

اتخذ يسوع لنفسه اسماً من أسماء اللـه يوقّره اليهود اكثر من غيره، اسماً يعتبر مقدساً إلى درجة لا يجرؤ معها اليهودي على النطق به، ألا وهو يهوه.

وقد كشف اللـه لشعبه معنى هذا الاسم في الأصحاح الثالث من الخروج. فعندما سأل موسى اللـه بأي اسم يدعوه أجاب الرب «أهيه الذي أهيه.» وقال، «هكذا تقول لبني إسرائيل: أهيه الذي أرسلني اليكم» (خروج ١٤،٣:١٣).

وتعبير أهيه ليس نفس كلمة يهوه. غير انه مشتق من صيغة فعل «يكون» الذي يشتق منه أيضاً اسم يهوه في (خروج ١٥:٣) وهكذا فإن لقب أهيه الذي أهيه، الذي كشفه اللـه لموسى تعبير أشمل عن كينونته الأبدية، اختُصِر في العدد ١٥ إلى الاسم الإلهي يهوه. وقد قامت الترجمة السبعينية، وهي الترجمة اليونانية للعهد القديم العبري، بترجمة أول استخدام لتعبير أهيه في خروج ١٤:٣ إلى ego eimi.كانت اللغة اليونانية هي لغة الحديث في زمن يسوع، وهي اللغة التي كتب بها العهد الجديد.

وهكذا فقد كانت الصيغة التوكيدية لأهيهego eimi في اللغة اليونانية في زمن يسوع معادلة لكلمة يهوه العبرية. واعتماداً على السياق، فإنها يمكن أن تكون طريقة توكيدية لقول «أنا هو» (كما في يوحنا ٩:٩)، أو يمكن أن تكون اسم اللـه نفسه، أهيه الأبدي.

استخدم يسوع تعبير ego eimi عدة مرات عن نفسه بطريقة لا تليق إلاّ باللـه. وأوضح مثال لذلك هو عندما قال اليهود ليسوع: «ليس لك خمسون سنة بعد. أفرأيت إبراهيم؟ قال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم، قبل أن يكون إبراهيم «أنا كائن» ego eimi. فرفعوا حجارة ليرجموه» (يوحنا ٨:٥٧-٥٩). لقد سعى اليهود إلى قتله لأنهم افترضوا

ادعاءه الألوهية. فالعهد القديم كان واضحاً في هذا الأمر. إذ كان عقاب التجديف هو الرجم حتى الموت (لاويين ١٦:٢٤).

اتخذ يسوع لنفسه هذا اللقب في مواضع أخرى. فقد صرح يسوع في موضع سابق من نفس الأصحاح، «إن لم تؤمنوا أني أنا هو (ego eimi) تموتون في خطاياكم» (يوحنا ٢٤:٨). ولا تظهر كلمة هو في النص اليوناني، حيث جاءت كالتالي: «إن لم تؤمنوا أني أنا تموتون في خطاياكم» قال لليهود، «متى رفعتم ابن الانسان، فحينئذ تفهمون أني أنا هو ego eimi.» ومرة أخرى فإن النص اليوناني الأصلي لا يحتوي على كلمة هو.

لقد أكد يسوع باستمرار ألوهيته. فعندما جاء حراس الهيكل مع الجنود الرومانيين ليقبضوا عليه في الليلة السابقة لصلبه سألهم يسوع «من تطلبون؟ أجابوه يسوع الناصري، فقال لهم يسوع أنا هو (ego eimi) فلما قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض (يوحنا ١٨:٤-٦). إذ لم يتمكنوا من الصمود أمام قوة تصريحه عن نفسه وقوة شخصه.

لم يجد كتّاب العهد الجديد الذين اقتنعوا بأن يسوع المسيح هو الله أية مشكلة في أن ينسبوا ليسوع كل فقرات العهد القديم التي تشير إلى يهوه.

استشهد مرقس في بداية إنجيله بإشارة إشعياء إلى الله: «صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب (يهوه). قوّموا في القفر سبيلاً لإلهنا» (إشعياء ٣:٤٠). ولقد فسر مرقس هذه الفقرة على أنها نبوءة تحققت في يوحنا المعمدان الذي يعد الطريق ليسوع (مرقس ١:٢-٤؛ قارن مع يوحنا ٢٣:١).

كما استشهد بولس بيوئيل ٣٢:٢، «ويكون أنّ كل من يدعو باسم الرب ينجو.» طبّق بولس هذا القول على يسوع عندما قال، «لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص» (رومية ١٣:١٠).

وقد استشهد بطرس بنفس العدد في (أعمال ٢١:٢) «ويكون كل من

يدعو باسم الرب يخلص.» ثم سأله الناس ماذا ينبغي أن يفعلوا حتى يخلُصوا، فأجابهم «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح» (أعمال ٢:٣٨). فبعد أن ذكر بطرس لتوّه بأن الدعوة باسم الرب (أي الاعتماد عليه) شرط لازم مسبق للخلاص، قال لهم بأن عليهم أن يعتمدوا باسم يسوع المسيح. ولو لم يكن بطرس يعتبر أنّ يسوع المسيح هو الله، لتوقعنا منه أن يأمرهم أن يتعمدوا باسم يهوه، وهو الأمر الذي يتمشى مع الإيمان اليهودي والممارسات اليهودية.

وما يفوق حقيقة إعطاء التلاميذ هذه الصفة ليسوع أهميةٍ هو أنّ أعداءه أدركوا أنه كان يقولِ إنه الله. وشاهد الادعاء هو دائماً دليل قوي في أية محكمة. فمثلاً قال يسوعٍ:

«أنا والآب واحد. فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه، أجابهم يسوع، أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أي منها ترجمونني؟ أجابه اليهود قائلين، لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً (الله)» (يوحنا ١٠:٣٠-٣٣).

لم يساور قادة اليهود أي شك في أن يسوع جعل نفسه الله، ولم يجعل نفسه أقل من ذلك. وهكذا فإن الاتهام الرئيسي الذي ركز عليه أعداؤه لم يكن حول أمرٍ فعله، بل بالأحرى حول هويته التي ادعاها لنفسه، أي ألوهيته.

اللــه

الكلمة اليونانية المستخدمة مئات المرات في العهد الجديد للدلالة على اللـه هي كلمة «ثيوس» (وهي تقابل ألوهيم العبرية في العهد القديم). ويدعى يسوع بهذا الاسم تمييزاً له عن الآلهة الزائفة في عدة مواضع.

إنّ النظرة الكتابية اليهودية - المسيحية للـه الواحد تناقض النظرة الهندوسية والبوذية. فالهندوسية تنظر إلى ذات الإنسان الحقيقية على أنها واحدة مع الحقيقة المطلقة. فمثلاً ليست هنالك مشكلة أمام معظم رجال الدين الهندوسيين في أن يقولوا «أنا اللـه»، وفي تعليم الآلاف من تابعيهم أن يقولوا نفس الشيء. ومن الواضح أنّ الإنسان الذي يعتقد أنه داخلياً اللـه بالفعل، لا يحتاج إلى أن يطلب اللـه بالمعنى المسيحي لهذه الكلمة، ولا إلى قبول مخلّص شخصي. وهذا لا ينطبق على العهد الجديد في إطاره اليهودي التوحيدي الذي يرسم خطوطاً واضحة فاصلة بين اللـه وخليقته. فمن الناحية الحضارية الثقافية، ما كان يمكن أن يدعى يسوع باسم اللـه ما لم يكن معتبراً «اللـه الوحيد» (تثنية ٦:٤)، لأنه لا توجد آلهة أخرى حسب الاعتقاد اليهودي.

كتب سي. أس. لويس:

« تقول إحدى محاولات إنكار لاهوت المسيح بأن يسوع لم يقل في حقيقة الأمر كل هذه الأشياء عن نفسه، لكن أتباعه بالغوا في القصة، وهكذا تطورت الأسطورة بأنه أطلق هذه التصريحات. يصعب علينا تصديق هذا التفسير لأن كل اتباعه كانوا يهوداً، أي انهم انتموا للأمة التي تؤمن إيماناً مطلقاً، أكثر من أية أمة أخرى، بأنه ليس هنالك إلاّ إله واحد وبأنه لا يمكن أن يوجد إله آخر. ومن الغريب جداً أن تظهر مثل هذه البدعة الشنيعة حول قائد ديني بين الشعب الوحيد الأقل احتمالاً من بين كل الشعوب لارتكاب مثل هذه الغلطة. بل على العكس من ذلك، فإننا نأخذ الانطباع

ونحن نقرأ الإنجيل بأن أحداً من اتباعه المباشرين أو حتى كُتّاب العهد الجديد لم يعتنق هذه العقيدة بسهولة إطلاقاً.»

يقف الله دائماً منفصلاً عن خليقته. فليس البشر امتدادا لله. فيما يلي تسعة أمثلة لمواضع في العهد الجديد يدعو فيها يسوع: «الله.»

١. في الأصحاح الأول من الرسالة إلى العبرانيين الذي يظهر تفوق المسيح على الملائكة والأنبياء، تقول كلمة الله، «وأما عن الابن (يقول الله) كرسيك يا الله (ثيوس) إلى دهر الدهور.» إنّ هذا الشاهد الكتابي عبرانيين ٨:١ يستشهد استشهاداً مباشراً بمزمور ٦:٤٥،٧ حيث يقوم الله بمخاطبة الله وهي ترجمة صحيحة للنص اليوناني.

٢. دعا بطرس المسيح «الله»(ثيوس).كتب «سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا ببر إلهنا (ثيوس) والمخّلص (الذي هو مخلّصنا) يسوع المسيح» (٢بطرس ١:١). واسم يسوع المسيح مستخدم هنا لغوياً كبدل من الله والمخّلص حسب النص اليوناني (ويمكن استخدام البدل في اللغة اليونانية كشرح لاسم سابق أو كمساوٍ له). وهذا الاستخدام هو بحسب قاعدةGranville Sharpe في اليونانيِّة، أما حرف العطف «و» (kai في اليونانية) فيربط الاسمين بدون أي انفصام. وهذا يعني أنّ البدل (الكلمة التي تعطي اسماً جديداً للاسم السابق) يسوع المسيح يعود بالضرورة على كل من «الله» و «المخّلص.» أي أنّ يسوع المسيح هو إلهنا ومخلّصنا. ويؤكد علماء قواعد اللغة اليونانية أنّ شخصاً واحداً فقط هو المقصود بإلهنا و«المخّلص» لا شخصين. يقول واينر شميدل في كتابه قواعد اللغة اليونانية (ص ١٥٨) «تفرض القواعد فرضاً أنّ المقصود هو شخص واحد فقط.» ويصّرح أي.تي. روبرتسون في مؤلفه «صور لفظية في العهد الجديد» (المجلد السادس ص ١٤٧) «شخص واحد لا شخصان.» (قارن هذا مع ما يقوله مولتون في مؤلفه «قواعد العهد الجديد»، المجلد الثالث ص ١٨١، و دانا ومانتي في كتابهما «دليل قواعد اللغة اليونانية» ص ١٤٧). فهم يتفقون جميعا

بأن يسوع المسيح هو الله والمخّلص، أي الله المخّلص.

٣. استخدم بولس نفس قاعدة Granville Sharpe عندما طلب من تيطس أن ينتظر ظهور مجد الله العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح (تيطس ٢:١٣).

٤. قال توما الذي شك في قيامة يسوع، «إن لم أبصر في يديه اثر المسامير وأضع إصبعي في اثر المسامير واضع يدي في جنبه لا أؤمن» (يوحنا ٢٠:٢٥). وعندما ظهر يسوع لتوما قال له، «هات إصبعك إلى هنا وأبصِرْ يديَّ وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً» أجاب توما وقال له، «ربي والهي» (يوحنا ٢٨،٢٠:٢٧). ليس هناك شك في أنّ كلمات توما كانت موجهه إلى يسوع. وقد استخدم توما كلا اللقبين للتعبير عن فهمه لألوهية المسيح وربوبيته. لم يوبّخ يسوع توما على تجديف قام به، وإنما قَبلَ اللقبين الدّالّين على ألوهيته. (عدد ٢٩).

٥. يقول (أعمال ٢:٣٦)، «الله جعل يسوع رباً ومسيحاً.» ويتحدث العدد ٣٩ عن الله على أنه الرب إلهنا. وهكذا فإن المسيح الذي هو رب (عدد ٣٦) هو أيضاً الله (عدد ٣٩). ويعزّز (أعمال ١٠:٣٦) هذه النقطة فيقول إنّ «يسوع المسيح هذا هو رب الكل.»

٦. يشير أعمال ٣٤،١٦:٣١ إلى الإيمان في الرب يسوع والإيمان في الله.

٧. تقول رؤيا ٧:١٠-١٧،١٢، «وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف. وجميع الملائكة كانوا واقفين حول العرش والشيوخ والحيوانات الأربعة وخروا أمام العرش على وجوههم وسجدوا لله قائلين: آمين. البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة والقوة لإلهنا إلى ابد الآبدين، آمين. لأن الخروف في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية (ماء الحياة) وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم.» لاحظ في العدد العاشر أنّ الله هو الذي يجلس على العرش وان الخروف يسوع هو الذي يجلس وسط العرش في العدد ١٧. فمن هو الذي في وسط العرش؟ فإذا قلنا إنّ يسوع يجلس في وسط

العرش مع إنكارنا لألوهيته فإن معنى هذا أننا نُجرّد الله من مكانه الأبدي في السماء، وهو موقف لا يمكن الدفاع عنه.

٨. ويتحدث (أعمال ١٨:٢٥) عن طريق الرب وهو نفس الطريق الموجود في العدد ٢٦ الذي يليه. غير أنّ الكلمة المستخدمة في العدد ٢٦ في الأصل اليوناني هي «الله.»

٩. هناك اسم آخر للمسيح المنتظر وهو عمانوئيل (إشعياء ٧:١٤) المترجم حرفياً إلى «الله معنا.» وينسب هذا اللقب بكل بوضوح في متى ١:٢٣ إلى يسوع، «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا.»

١٠. يقول إشعياء ٩:٦، «لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابناً، وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً، إلهاً قديراً (الله القدير) أباً أبدياً رئيس السلام.» تشير هذه النبوءة المختصة بيسوع، المسيّا، إلى أن أحد أسمائه سيكون (الله القدير)، وفي العبرية El Gibbor وهو نفس التعبير المستخدم عن يهوه في إشعياء ١٠:٢١. وما نرمي إليه هو أنّ الروح القدس ميّز يسوع بمثل هذه الاسماء؛ فلو لم يكن مقصوداً لهذه الأسماء أن تعبّر عن طبيعة الطفل المولود، لكان ذلك خداعاً. يعني تعبير«هذا اسمه» إن هذه هي طبيعته وهذا هو شخصه، لا هذا ما يعنيه اسمه دون أن يكون للطفل المولود الطبيعة التي يدل عليها هذا الاسم.

وكما يقول هيربيرت سي. ليوبولد، «هذا هو نوع الطبيعة التي سيتمتّع بها الطفل المولود، فهو يُدعى بهذه الأسماء لأنه في حقيقة الأمر يتمتّع بنفس الطبيعة التي يدل عليها اسمه.» فإذا لم يكن يسوع هو الله القدير، فلن يكون هو «مشيراً عجيباً» أو «رئيس السلام.» وإذا لم تكن هذه كلها تنطبق عليه، فلماذا يُدعى بها أصلاً؟ لماذا يخبرنا عن معنى الاسم إن لم تكن له علاقة به؟ لكن المسيّا المنتظر، كما توضح بقية سفر إشعياء والعهد الجديد، مشير عجيب ورئيس السلام (إشعياء ٤٢،

٤٩؛ قارن زكريا ٩:٩،١٠؛ ميخا ٤:٥). وهو أيضاً الله القدير كما يبرهن العهد الجديد (يوحنا ١:١، تيطس٢:١٣).

١١. يقول (يوحنا ١:١،١٤) «في البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله (ثيوس) والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا.» لا توجد فقرة اكثر شيوعاً في الاستخدام، أو اكثر إثارة للجدل حول ألوهية المسيح من يوحنا ١:١. لا يوجد هناك شك في أنّ الكلمة تشير إلى يسوع لأن العدد ١٤ يقول «والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا.» إذا أخذنا العددين ١،١٤ كما هما، فإنهما يعلّمان ألوهية المسيح، فهما يصرّحان بأن الكلمة كان عند الله وأن الله صار جسداً.

إذا أنكر المرء لاهوت المسيح بعد قراءتنا لهذين العددين، فإنه سيكون مضطراً لترجمة يوحنا ١:١ ترجمة خاطئة أو محاولة إعادة تفسيرها. وإحدى هذه الطرق الخاطئة في ترجمتها هي القول، وكان الكلمة «إلهاً» بدلاً من، وكان الكلمة الله. ومشكلة هذه الترجمة أنّ النص اليوناني لا يسمح هنا باستخدام الله كنكرة في هذا السياق.

يشير بروس ميتسجر، أحد دارسي اللغة اليونانية، إلى بحث علمي كتبه الدكتور ايرنست كادمن كولويل من جامعة شيكاغو. كتب كولويل بأن ... «الخبر المرفوع المعروف يأخذ أل التعريف في اليونانية عندما يتبع الفعل، ولا يأخذ أل التعريف عندما يسبق الفعل. (في الأصل اليوناني تستخدم الكلمة مبتدأ وتسبق الفعل ثم يأتي لفظ الله خبراً) «والكلمة كان الله» بدلاً من الترجمة العربية «وكان الكلمة الله.» والعدد الأول من إنجيل يوحنا هو أحد الأعداد الكثيرة التي تنطبق عليها تلك القاعدة، وتدل على أنّ الخبر اسم مُعرّف حتى بدون استخدام أل التعريف وغياب أل التعريف قبل كلمة «ثيوس» لا يجعل الخبر نكرة أو صفة عندما يسبق الفعل. وهو لا يكون نكرة في هذا الموضع إلاّ عندما يحتّم السياق ذلك. والسياق لا يدع مجالاً لهذا في الإنجيل حسب يوحنا، لان مثل هذا التصريح عن لاهوت المسيح لا يمكن أن يعتبر غريباً

عن روح إنجيل يوحنا الذي يصل إلى قمته باعتراف توما بألوهية المسيح وربوبيته.»

ويقول ف. ف. بروسو، وهو خبير في لغات الكتاب المقدس، بأن ترجمة «وكان الكلمة إلهاً» خطأ مخيف في الترجمة لأن حذف أل التعريف أمر شائع مع الأسماء التي تأتي في تركيب خبري.

وهكذا فإن (يوحنا ١:١) واحد من أوضح الأعداد في العهد الجديد التي تعبر عن لاهوت المسيح المطلق. ولقد ناقش هذا التركيب عدد كبير من عظام علماء اللغة اليونانية والكتاب المقدس. ويمكننا إعادة صياغة هذا العدد كما يلي، «قبل أن يوجد أي شيء كان الكلمة موجوداً أصلاً، وكان يتمتع بعلاقة حميمة مع الله (الآب)، ولقد كان الكلمة كل ما كانه الله.»

يقول ف. ف. بروس إنّ التشديد هو على أنّ الكلمة «كان الله نفسه.»

يسأل بعض الناس أحياناً كيف يمكن أن يكون يسوع هو «الله» و«عند الله» في نفس الوقت. والجواب موجود في مفهوم الثالوث: إله واحد في ثلاثة أقانيم أبدية. لقد كان«الكلمة» المذكور في (يوحنا ١:١) مع الأقنومين الآخرين من أقانيم الثالوث، وهو الله نفسه بطبيعته.

هناك مجموعة معروفة باسم «الطريق الدولي» تقول بأن يسوع هو الكلمة بمعنى انه كان تعبيراً عن الله كما تعبّر كلماتنا عن أنفسنا. ولا تؤمن هذه المجموعة أنّ يسوع كان الكلمة بمعنى أنه الله. ودعماً لوجهة نظرهم قالوا بأن يوحنا ١:١-١٨ تتكلم أساساً عن الله، لا عن يسوع لأنها إذا كانت تتكلم عن يسوع، فإنها تنسب له صفات لا يجوز أن تكون إلاّ لله. وهكذا، وبقدر الإمكان فإنهم يحاولون إخراج يسوع من دائرة الضوء زاعمين أنّ الأصحاح الأول من يوحنا هو عن الله.

غير أنّ هناك عيوباً ومشاكل في تفسيرهم هذا. أولاً: إذا كان المتحدّث عنه بضمير الغائب «هو» في الأصحاح الأول من يوحنا هو الله بدلاً من يسوع، فإن كل الأصحاح الأول يصبح بلا معنى، لأن هدف إنجيل يوحنا

هو أن يؤمن البشر بيسوع.
يقول يوحنا في العدد الرئيسي من إنجيله: «وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» يوحنا ٣١:٢٠. ولهذا يبدو منطقياً أن ترتبط مقدمة إنجيل يوحنا بالهدف الذي قصد إليه.

ثانياً: كل ما تتحدث عنه الأعداد الثمانية عشرة الأولى من إنجيل يوحنا ينسب ليسوع في أماكن أخرى من نفس الإنجيل أو في فقرات العهد الجديد. فيما يلي بعض الأمثلة:

الأصحاح الأول	فقرات موازية
العددان ٣،١٠: خَلَّق يسوع العالم	كان فعالاً في خلق العالم. (عبرانيين ٨،٢،١:١-١٣، كولوسي ١:١٦-١٨).
العدد ٤: «فيه كانت الحياة»	قال يسوع إنه «خبز الحياة» وإنه «القيامة والحياة» وإنه «الطريق والحق والحياة» (يوحنا ٣٥:٦،٤٨،٥١؛ ١١:٢٥؛ ١٤:١٦). ويقول يوحنا ٣١:٢٠ بأنه يمكن للبشر أن يحصلوا على الحياة بالإيمان بيسوع.
العددان ٤،٩: كان «نور	قال يسوع إنه «نور العالم»
الناس» و «النور الحقيقي»	(يوحنا ١٢:٨؛ ٥:٩).
العدد ١٠: «كان في العالم»	من؟ من المنطقي إن يشير هذا العدد إلى يسوع. فالتوكيد يتركز على مجيء يسوع إلى العالم. (يوحنا ١٧:٣، ٣٣:٦ .. الخ).
العدد ١١: «إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله.»	رفض اليهود يسوع، لا الله كما فهموا الله (يوحنا ٣٢:٣). لقد اعتقدوا أنهم برفضهم ليسوع يحققون إرادة الله.

العدد ١٢: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه.»	يوضح يوحنا عبر إنجيله بأن على الناس أن يؤمنوا بيسوع (يوحنا ٣:١٦-١٨؛ ٥:٢٤؛ ١٢:٤٤؛ ٢٠:٣١؛ .. الخ). ويسوع يمنح الحياة الأبدية (يوحنا ١٠:٢٨).

الألف والياء الأول والآخر

يعطينا هذان التعبيران، «الألف والياء» وصفاً جميلاً لله يبعث على الخشوع. فالله كان موجوداً قبل وقت طويل من وجود النجوم في السماء ووجود عالمنا. وهو أزلي ابدي. يقول (تكوين ١:١) «في البدء . . . الله.» والله وحده يستحق لقبي الألف (الأول) والياء (الآخر).

وهكذا فإن هذين الاسمين يعبران عن طبيعة الله الأبدية. إنه مصدر كل الخليقة وهدفها ولا يستطيع أي كائن مخلوق أن يَدّعي أنه الأول وأنه الآخر وأنه سابق كل ما هو موجود. يُدعى كل من يسوع والله «الألف والياء، الأول والآخر» في الكتاب المقدس.

الله	يسوع
إشعياء ٤:٤١ «أنا الرب	رؤيا ١٧:١،١٨ «أنا هو الأول
(يهوه) الأول ومع الآخرين أنا هو.	(بروتوس) والآخر (اسكاتوس) والحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين.»
إشعياء ١٢:٤٨ «أنا هو. أنا الأول وأنا الآخر.»	رؤيا ٨:٢ «وإلى ملاك كنيسة سميرنا.هذا يقوله الأول والآخر الذي كان ميتاً فعاش.»
رؤيا ٨:١ «أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء.»	رؤيا ١٢:٢٢-١٦ «وها أنا آتي سريعاً .. أنا الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخر .. أنا يسوع أرسلت ملاكي لأشهد لكم بهذه الأمور ..»
رؤيا ٦:٢١،٧ «أنا هو الألف والياء البداية والنهاية. أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً. من يغلب يرث كل شيء، وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً.»	

لا يمكن التقليل من أهمية الفقرات السابقة من سفر الرؤيا ودلالاتها. فهي بعض من أقوى الأمثلة وأوضحها لتصريحات المسيح بألوهيته. إذ لا يمكن أن يكون هناك أوّلان وآخران، بدايتان ونهايتان.

الــرب

يستخدم الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لقب «الرب» بحرية للإشارة للـه وليسوع. والكلمة التي يستخدمها العهد القديم لتشير إلى الرب هي «أدوناي.» والترجمة السبعينية والعهد الجديد يستخدمان كلمة «كيريوس» مقابل «الرب.» وقد استخدم اليهود كلاًّ من كلمتي «أدوناي» و«كيريوس» للإشارة إلى اللـه.

استخدم العهد الجديد كلمة «كيريوس» بمعنيين، معنى شائع عام، وآخر مقدّس. والاستخدام الشائع العام كان تحية احترام تعني«سيدي» أو «سيد.» أما المعنى المقدّس فكان يفيد الألوهية. ومن الواضح أنّ بعض فقرات العهد الجديد تستخدم كلمة «رب» كتعبير يدل على تبجيل يسوع كما في يوحنا ٤:١١ «قالت له المرأة يا سيّد لا دلو لك والبير عميقة فمن أين لك الماء الحي.» ولأن المسيحيين الأوائل كانوا موحّدين يؤمنون بإله واحد (كاليهود)، فإن استخدامهم كلمة «رب» بالمعنى المقدّس في مخاطبة يسوع سيكون دليلاً قوياً على انهم اعتقدوا أنّ المسيح هو اللـه. يقول هوج وفاين في كتابتهما حول رسالتي بولس إلى أهل تسالونيكي:

نرى الدلالة الكاملة لربط يسوع مع اللـه بلقب واحد هو «الرب» عندما ندرك أنّ هؤلاء الرجال كانوا ينتمون الى الأمّة الوحيدة المَوحِّدة في العالم. وان ربط اليهودي للخالق بشخص مخلوق، مهما بلغ تعظيمه له،كان أمراً مستحيلاً على الرغم من انه كان أمراً ممكنا بالنسبة لشخص وثني.

وكان الرومانيون الذين عبدوا الإمبراطور كإله يحيّون بعضهم بعضاً بقولهم «قيصر رب.» وان أحد أسباب اضطهاد الرومانيين للمسيحيين الأوائل واليهود هو رفضهم تقديم هذا النوع من الإجلال للإمبراطور. وتوضح هذه الممارسة الدلالة أو الأهمية المتضمنة في استخدام

المسيحية لتعبير «يسوع رب» أي رب بمعنى «الله.»
هناك عدة أمثلة واضحة يشار فيها إلى يسوع بكلمة «رب» بالمعنى المقدس. كتب بولس قائلاً «وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلاّ بالروح القدس» (١كورنتوس ١٢:٣). قد يعترض بعض الأفراد فيقولون «أنا أومن أن يسوع هو «ربي» ولكني بالتأكيد لا أعتقد أنه الله.» والسؤال المهم هو عما هو المقصود بكلمة رب. إذ يستطيع أي شخص أن يتفوه بكلمتي «يسوع رب.» وقد يقولها بعضهم بمعنى أنّ يسوع «سيد» لكن ليس هذا هو ما قصده بولس. فهناك عدة دلائل تشير إلى أنّ بولس يتحدث عن ألوهية يسوع.

١. بدأ بولس الأصحاح الثاني عشر بالتحدث عن المواهب الروحية، وحقيقة أنّ آهل كورنثوس كانوا منقادين سابقاً إلى عبادة الأوثان كآلهة. ويظهر بولس الفرق الشاسع بين هذه الآلهة الزائفة (العددان ١،٢) وبين يسوع بقوله انه لا يمكن لمن يتكلم بالروح القدس أن يقول بأن يسوع أناثيما (أي ملعون) ولا يستطيع أحد أن يعترف بأن يسوع رب إلاّ بالروح القدس، وهو بذلك يقصد أنّ يسوع الرب هو الله الحقيقي المستحق للعبادة.

٢. تعامل بولس في العدد ٣ مع الروح القدس ويسوع والله على أسس متساوية. كما تُظهر الأعداد ٤-٦ الأمور التالية:

العدد ٤: فأنواع مواهب ولكن الروح واحد؛

العدد ٥: وأنواع خدم موجودة، ولكن الرب واحد (أي يسوع كما في العدد الأول)؛

العدد ٦: وأنواع أعمال موجودة، ولكن الله واحد. فإذا لم يكن المسيح هو الله، فلماذا يعامل على قدم المساواة معه في العدد الخامس؟ كما يتحدث العددان الحادي عشر والثامن عشر عن الروح القدس والله كتعابير مترادفة.

لو أننا سألنا شخصاً ينكر ألوهية المسيح عما إذا كان «يصلي إلى الرب» أم لا، فإنه سيسأل «من الذي تقصده؟» وهذا هو بيت القصيد. فنحن نجد

عبر الكتاب المقدس أنّ اللـه ويسوع يدعيان الرب. والجواب الذي يحتمل أن نحصل عليه هو «أنا اصلّي إلى اللـه، لكني لا أومن بالصلاة ليسوع.» وجواباً على مثل هذا القول، فإن هناك خمسة أمثلة في العهد الجديد تُقدَّم فيها الصلاة ليسوع في السمـاء كالرب (أو ابن اللـه).

١. في أعمال ٥٩:٧،٦٠ دعا استفانوس يسوع رباً. صلّى أثناء رجمه فقال «أيها الرب يسوع، إقبل روحي.» وهذا يشير إلى إيمانه بأن يسوع كان اكثر من مجرد إنسان وانه كان قادراً إلى درجة تكفي لقبول روحه، ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم «يا رب لا تُقِم لهم هذه الخطية» لا يمكن ليهودي يوناني تقي أن يصلي لأي شخص أقل من اللـه.

٢. كتب بولس الرسول في ١كورنثوس ٢:١ إلى «القديسين .. الذين يَدْعُون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا (أي ربهم وربنا).»

٣. وتحدث بولس الرسول في ٢كورنثوس ١٢:٨-٩ عن شوكة في الجسد فقال، «من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني فقال لي: تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل، فبكل سرور افتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحلّ عليّ قوة المسيح.»

٤. ونقرأ في رسالة يوحنا الأولى ٥:١٣-١٥، «كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن اللـه لكي تعلموا أنّ لكم حياة أبدية ولكيٍ تؤمنوا باسم ابن اللـه. وهذه الثقة التي لنا عنده أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا. وإن كنا نعلم أنه مهما طلبنا يسمع لنا نعلم أنّ لنا الطلبات التي طلبناها فيه.» إن كل الضمائر الموصولة والمستترة (وهي ضمائر غير مستترة باللغة اليونانية الأصلية) تشير إلى ابن اللـه (عدد ١٣).

٥. قال سيمون في أعمال ٢٤:٨ «اطلبا (صلّيا) إلى الرب . . .» (يذكر العدد ١٦ أنّ يسوع هو «الرب»).

لقد أكّد بطرس وبولس أنّ يسوع هو «رب الكل» (أعمال ٣٦:١٠، رومية ١٢:١٠)، كما قال بولس «لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (١كورنتوس٢:٨).

من هو رب المجد؟ يخبرنا مزمور ١٠:٢٤، «رب الجنود، هو ملك المجد» (انظر أيضاً مزمور ٧:٩٦،٨).

كما دعا بولس يسوع رباً في ٢كورنتوس ٤:٤-٥ فقال «إله هذا الدهر (الشيطان) قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله. فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع رباً، ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع.» وهكذا فإن المسيح، الذي هو صورة الله، رب.

وقد استخدم بولس نفس اللغة والمجاز اللذين استخدمهما إشعياء في العهد القديم عن يهوه ليطبقهما على المسيح.

الله	يسوع
«أنا الله وليس آخر .. لي تجثو كل ركبة، يحلف كل لسان» (إشعياء ٤٥:٢٢-٢٤)	لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أنّ يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (فيلبي ٢:٩-١٠).

ولم يكن بولس الفرّيسي والعالم بالعهد القديم ليستخدم هذا التماثل أو التطابق صدفة. أشار يسوع إلى نفسه على انه «رب السبت،» وهي إشارة إلى نفسه كخالق للسبت. قال الله في خروج ١٣:٣١،١٧ «سبوتي تحفظونها. لأنه علامة بيني وبينكم هو بيني وبين بني إسرائيل علامة إلى الأبد.» لقد نظر اليهودي إلى يهوه على انه بادئ السبت (خالقه وربه. وعندما وبّخ بعض الفريسيين يسوع لسماحه لتلاميذه أن يقطفوا السنابل في السبت كاسرين بذلك الناموس لأنهم عملوا في هذا اليوم المقدّس، قال لهم يسوع بأنه لا بأس بذلك لأنه «رب السبت» (متى ٨:١٢).

يقول سي. اس. لويس،
نجد هنا ملاحظة أخرى غريبة: توجد في كل ديانة شعائر غير مريحة مثل الصيام. فيأتي هذا الإنسان يوماً ما ليقول، «ليس من الضروري أن يصوم أحد ما دمت هنا.» فمن هو هذا الإنسان الذي يقول بأن مجرد حضوره يعلّق كل القوانين العادية؟ من هو الشخص الذي يستطيع فجأة أن يعلن للمدرسة أنّ بإمكان الهيئة التدريسية والطلاب أن يأخذوا عطلة لنصف يوم؟

لقد اعتبر اليهود الذين سمعوا كلامه هذا تجديفاً. ثم دخل يسوع في نفس يوم السبت إلى مجمعهم. مؤكداً مرة أخرى نقطة العمل يوم السبت والذي تمثّل في شفائه لرجل ذي يد يابسة، مما زاد من حنقهم عليه. لأن هذا العمل كان بمثابة كسر للسبت حسب فهمهم له. وعندما صرّح بأنّ له سلطاناً لا يمكن أن يكون إلاّ لله، زاد سخطهم عليه وحاولوا قتله (متى ١٢:١٤).
ونعيد فنقول بأنه لا يمكن أن يوجد إلاّ إله واحد حسب تثنية ٦:٤، ومرقس ١٢:٢٩.

المخلّص

لقد صرح إله العهد القديم بشكل حاسم بأنه وحده المخلّص «أنا، أنا الرب (يهوه) وليس غيري مخلّص» (إشعياء ٤٣:١١). غير أن الكتاب المقدس يوضح بأن يسوع هو أيضاً مخلّص.

الله	يسوع
إشعياء ٤٣:٣ «لأني أنا الرب (يهوه) إلهك .. مخلّصك.»	متى ١:٢١ «... وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم.» يوحنا ١:٢٩ «وفي الغد نظر يسوع ... فقال، هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم.»
١تيموثاوس ٤:١٠ «.. ألقينا رجاءنا على الله الحي الذي هو مخلّص جميع الناس ...»	يوحنا ٤:٤٢ «هذا هو بالحقيقة مخلّص العالم.» عبرانيين ٥:٩ «... صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي.»
لوقا ١:٤٧ «وتبتهج روحي بالله مخلصي.»	لوقا ٢:١١«إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلّص هو المسيح الرب.»

طلب بولس من تيطس أن ينتظر «الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح» (تيطس٢:١٣). إنّ سياق هذا العدد هام. لأنه كان قد ذكر قبل ثلاثة أعداد أنّ الله هو المخلّص «مخلّصنا الله» (عدد ١٠) ويقول في تيطس ٣:٤ «مخلّصنا الله» وفي العدد ٦ «يسوع المسيح مخلّصاً.» فهو يستخدم في مدى اثني عشر عدداً كلمتي المسيح والله بشكل تبادلي بحيث يمكن أن تحل الأولى محل الثانية.

الملك

«الملك» لقب يعبّر عن جلال الله. كتب داود صاحب المزامير «لأن الرب إله عظيم ملك عظيم على (فوق) كل الآلهة» (مزمور ٩٥:٣). وقال الله «أنا الرب قدوسكم .. ملككم» (إشعياء ٤٣:١٥). يتحدث الكتاب المقدس أكثر من ثلاثين مرة في المزامير وإشعياء وإرميا ودانيال وزكريا وملاخي عن الله كملك أو «الملك العظيم» أو «ملك اسرائيل.»

وعلى الرغم من أنّ مصطلح الملك لقب بشري غالباً، فإن العهد الجديد لا يتحدث عن المسيح كملك بنفس المعنى الذي يتحدث فيه العهد القديم عن الله فحسب، ولكن يسوع يدعى أيضاً «ملك الملوك.» إذ نقرأ في رؤيا ١٧:١٤ «...والخروف يغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك.» وستكون الكلمات التالية مكتوبة على فخذ يسوع عند مجيئه الثاني، «ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤيا ١٩:١٦). ويشار إلى الرب يهوه في العهد القديم على أنه «إله الآلهة ورب الأرباب» (تثنية ١٠:١٧).

وهناك أهمية خاصة لتيموثاوس الأولى ٦:١٤-١٦ تقول، «... إلى ظهور ربنا يسوع المسيح الذي سيبيّنه في أوقاته المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت (الأبدية) ساكناً في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية، آمين.»

يمكن أن يشير «ملك الملوك ورب الأرباب» إلى المسيح أو الله. فإذا كانت تتحدث عن المسيح في حالته الممجَّدة (رؤيا١:١٢-١٨)، فإنّ «العزيز (صاحب السيادة) الوحيد وملك الملوك ورب الأرباب والذي له وحده عدم الموت (الأبدية) وساكناً في نور لا يدنى منه» ستكون كلها ألقاباً تدل على ألوهيته. وإذا كانت هذه الفقرة تتحدث عن الله فمعنى ذلك أنّ كلاًّ من المسيح والله يشتركان في اللقبين المتطابقين «ملك الملوك ورب الأرباب» كما تبين الفقرات الأخرى التي أشرنا إليها (رؤيا ١٧:١٤ مثلاً) وفي كلا الحالين، فإنها تقدّم دليلاً على ألوهية المسيح.

الديّان

لم يترك العهد القديم مجالاً للشك بأنّ الله هو ديّان كل نفوس الناس. «يدعو السماوات من فوق والأرض إلى مداينة شعبه .. لأن الله هو الديّان» (مزمور ٥٠،٦:٤). وهناك إشارات كثيرة إلى يهوه كديان (تكوين ١٨:٢٥، مزمور ٩٦:١٣، عبرانيين١٢،٢٤:٢٣، ١بطرس ١:١٧). غير أننا نجد في العهد الجديد أنّ الله الآب قد ترك «كل الدينونة للابن» (يوحنا ٥:٢٢). ويوضح لنا العدد ٢٣ سبب إعطاء الله كل الدينونة للابن: «لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله.» هل الآب مكرم كالله؟ بالطبع. إذاً يجب أن يكرم الابن بنفس الطريقة.

إنّ (يوحنا ٥:٧-٣٠) واحدة من أقوى الفقرات في كل الكتاب المقدّس التي تؤكد ألوهية المسيح. يسوع هو «العتيد أن يدين الأحياء والأموات» (٢ تيموثاوس ٤:١). وسيمثل كل المؤمنين أمام «كرسي المسيح» (٢كورنتوس ٥:١٠). وتتحدث رومية ١٤:١٠ إنّ الوقوف أمام كرسي المسيح هو إعطاء حساب عن أنفسنا لله نفسه. كما أنّ يهوه والمسيح كليهما يفحصان قلوب المؤمنين «أنا هو الفاحص الكلى والقلوب» (رؤيا ٢:٢٣؛ إرميا ١٧:١٠). وهكذا يبرز يسوع ويهوه كديان واحد.

النــور

يستخدم تعبير «النور» غالباً للإشارة بشكل مجازي لله وحضوره أو إعلانه. فالله هو «النور» و «النور الأبدي» و«نور الأمم» و «السراج» وهو الذي يضيء الظلمة (مزمور ٢٧:١؛ إشعياء ٤٢:٦؛٢٠،٦٠:١٩؛ ٢صموئيل ٢٢:٢٩).
قدّم يسوع تصريحاً قوياً عن نفسه بأنه النور، لا مجرد شخص يشير إلى النور. قال «أنا هو Ego eimi نور العالم، من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة» (يوحنا ٨:١٢). وقال أيضاً مُشيراً إلى نفسه، «وهذه هي الدينونة، أنّ النور قد جاء إلى العالم وأحبَّ الناس الظلمة أكثر من النور» (يوحنا ٣:١٩). كما وصفه الرسول يوحنا بأنه «نور الناس» و «النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان» (يوحنا ٩،١:٤). فكما أنّ الله هو النور الأبدي فإن يسوع هو أيضاً كذلك (إشعياء ٦٠:١٩-٢٠؛ رؤيا ٢١:٢٣؛ ٢٢:٥).

الصخـرة

يمكن لكلمة «الصخرة» أن تعني أشياء كثيرة، ولكن عندما تصبح اسماً لله، فإنها ترمز إلى تعزية الله لنا، وثباته وصلابته وقوته. ترك موسى قبيل موته لأبناء أمته ترنيمة تذكرهم بطبيعة الله وبما فعله من أجلهم. استخدم في هذه الترنيمة اسمين لله هما يهوه والصخرة. «إني باسم الرب أنادى. أعطوا عَظَمة لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه!» (تثنية ٣٢:٣-٤؛ انظر أيضاً تثنية ١٨،١٥:٣٢، ٣٠-٣١). وقد دعا داود صاحب المزامير الله إلهي و«صخرة خلاصي» (مزمور ٢٦:٨٩، ١:٩٥). كما قدّم داود له العبادة كصخرة له «الرب صخرتي» و «صخرة إسرائيل» (٢صموئيل ٢:٢٢،٣،٤٧؛ ٣:٢٣). ونجد في ٢ صموئيل ٣٢:٢٢ سؤالاً استنكارياً، «لأنه من هو إله غير الرب ومن هو صخرة غير إلهنا؟»

وفي العهد الجديد يعطى يسوع لقب «الصخرة.» فقد أشار بولس إلى بني إسرائيل في البرية مع موسى فقال «وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً. لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح» (١كورنتوس ١٠،٤:٣؛ انظر خروج ٦:١٧؛ نحميا ١٥:٩). كان بولس يشير رمزياً هنا إلى بني إسرائيل الذين يقوتهم الله - فكان يهوه يعطيهم المَنّ من السماء (العدد ٣) وكان المسيح يعطيهم الشراب (العدد ٤). فمن الواضح إذاً أن بولس كان يؤمن أنّ يسوع هو يهوه.

كما تحدث بولس عن يسوع كـ «صخرة عثرة» (رومية ٣٣:٩). أشار له بطرس على أنه «حجر حي» و«حجر صدمة» و«صخرة عثرة» و «حجر مختار» و «حجر زاوية كريم» و «الحجر الذي رفضه البناؤون» (١بطرس ٤:٢-٨).

الفادي

تعني كلمة الفادي الشخص الذي يعيد شراء شيء. عندما كان الجنس البشري مفلساً روحياً وعاجزاً عن تخليص نفسه، قام الله عن طيب خاطر حسب علمه السابق (أعمال ٢:٢٣) بالتضحية بابنه من أجل فداء الجميع، فاتحاً الباب لأي شخص للمصالحة مع الله. تقول كلمة الله «عنده فِدىً كثير» (مزمور ٨،١٣٠:٧)، وإنه «الفادي» (إشعياء ١٧:٤٨؛ ٥:٥٤؛ ٩:٦٣). وهو الذي يفدي من «الحفرة» حياتنا (مزمور ٤:١٠٣)، ولا يمكن أن يأتي الفداء النهائي من الخطية إلاّ من الله.

يسوع المسيح هو فادينا من الخطية «لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا» (أفسس ٧:١). فيسوع هو الذي اشترى لنا فداءً أبدياً (عبرانيين ١٢:٩). كما طلب بولس من شيوخ أفسس أن يرعوا «كنيسة الله التي اقتناها (اشتراها وافتداها) بدمه» (أعمال ٢٨:٢٠). ولا يمكن أن يشير هذا إلاّ إلى موت المسيح على الصليب. فيسوع هو الله الابن فادينا.

الرب برنا

تنبأ العهد القديم، نظراً لحاجة البشرية للبر وعجزنا عن الوصول إلى مستوى القداسة الذي يطالبنا الله به (رومية ٣:٢٣)، أنّ يهوه سيقيم يوماً ما «غصن بِر» من أصل داود سيكون اسمه «الرب برنا» (إرميا ٢٣:٦؛ ١٦،٣٣:١٥). وهذا الغصن حسب تعليم العهد القديم هو المسيّا المنتظر أو المسيح (قارن مع لوقا ١:٣٢). وهكذا فإن أحد أسماء يسوع هو الرب (يهوه) برنا. ويقول لنا (إشعياء ٤٥:٢٤) بأنه ليس هناك أي بِر إلاّ في يهوه الرب «إنما بالرب البِر».

الزوج (العريس)

إن أحد الجوانب الجميلة للقب «الزوج»، عندما يستخدم للدلالة على الله، هو أنه يذكّرنا بأن الله يحبنا ويشتاق إلى أن يملأ الفراغ والوحدة في قلوب الناس كما يفعل الزوج المحب ليسدد احتياجات زوجته (والعكس بالعكس). ذكّر إشعياء إسرائيل بقوله «لأنّ بعلك (زوجك) هو صانعك» (إشعياء ٥٤:٥). وفي سفر هوشع نجد أن الله يقارن محبته لإسرائيل بمحبة زوج أمين لزوجة غير مخلِصة. لقد أعطى الله وعداً بأنه على الرغم من أنّ الدينونة قادمة، فإن إسرائيل سيدعو الله مرة أخرى «رَجُلي» (هوشع ٢:١٦)، أي زوجي أو عريسي.

وكما ينظر العهد القديم إلى الله كزوج لإسرائيل، فإن العهد الجديد يرى في يسوع زوج (عريس) الكنيسة. قال يسوع إن تلاميذه محقّون في عدم الصوم لأن «العريس» معهم (مرقس٢:١٨-١٩). ويطلب المسيح في متى ٢٥:١ من العذارى (الكنيسة) أن ينتظروا العريس أي المسيح نفسه. ويقول بولس في (٢كورنتوس ١١:٢) بأنّ الكنيسة مخطوبة للزواج من المسيح. ويشير (رؤيا ٢١:٢،٩) إلى الكنيسة كعروس مهيأة لرجلها والعروس امرأة الخروف. والعروس الجديدة هي أورشليم السماوية. وهكذا فإن المسيح، مثل الله، هو الزوج الإلهي.

الراعـي

«الراعـي» مـصـطـلـح جـمـيـل يـشـيـر إلـى الـلـه فـي رعـايـتـه لـلـبـشـر. رنّم داود قـائـلاً، «الرب راعّي فلا يعوزني شيء» (مزمور ١:٢٣)، ويقول في (مزمور ١:٨٠) «يا راعي إسرائيل أصغ يا قائد يوسف كالضأن.» ويشير (تكوين ٢٤:٤٩) إلى الله «الراعي صخر إسرائيل.» كما خصص حزقيال سفراً كاملاً للتحدث عن الله كراع لبيت إسرائيل الضال «غنم مرعاه» (حزقيال ٣٤).

وعلى الرغم من أنّ استخدام كلمة الراعي لا يبرهن على ألوهية المسيح، فإن بطرس وبولس دعيا المسيح «رئيس الرعاة» و «راعي الخراف العظيم» و «راعي نفوسكم وأسقفها (حارسها)» (١بطرس ٤:٥، عبرانيين ٢٠:١٣، ١بطرس ٢٥:٢). كما أنّ يسوع دعا نفسه راعياً مؤكداً أنه «الراعي الصالح» (يوحنا ١١:١٠)، وأنه الراعي «الوحيد» (يوحنا١٦:١٠).

الخالق

يقول أول عدد في الكتاب المقدس «في البدء خلق الله السموات والأرض» (تكوين ١:١). فالله يُعَرّف بوضوح على أنه الخالق. وإنّ قول أي شيء آخر مختلف عن هذا كان سيُعد تجديفاً من قبل اليهود. يقول الكتاب المقدس مرة تلو الأخرى على إنّ الله هو الذي خلق العالم (أيوب ٤:٣٣؛ مزمور ٥:٩٥،٦؛ ٢٥:١٠٢،٢٦؛ الجامعة ١:١٢؛ إشعياء ٢٨:٤٠).

يؤكد العهد الجديد ألوهية المسيح بالتحدث عنه كخالق:

«هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان ... كان في العالم وكُوِّنَ العالم به، ولم يعرفه العالم.» (يوحنا ٢:١،٣،١٠).

ومن الواضح أنّ هذه الفقرة تتحدث عن يسوع. ولقد عبّر بولس عن نفس الفكرة:

«فإنه فيه خُلِق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خلق. الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل.» (كولوسي ١:١٦-١٨)

يشير النص إلى أنّ بولس يتحدث عن يسوع. والضمائر المستخدمة تشير إلى شخص واحد. وتتحدث الفقرة عن شخص واحد خُلقت بواسطته كل الأشياء. إنه رأس الكنيسة وهو «البداءة» (موجود منذ البدء وبادئ كل شيء) و«بِكْر من الأموات.» ولقد جمع يسوع كل هذه الأمور حسب أفسس ٢٣:٥؛ يوحنا ١:١؛ ١كورنثوس ٢٠:١٥.

ولقد نَبّرَ كاتب الرسالة إلى العبرانيين على نفس النقطة. «الله ...كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عمل العالمين (عبرانيين ١:١،٢). وفي نفس الأصحاح الذي يخاطب الابن في العدد الثامن يقول، «وأنت يا رب (يسوع) في البدء أسَّسْتَ الأرض،

والسموات هي عمل يديك» (عبرانيين ١:١٠).

يقول لويس سبيري شيفر:

«إنّ عملية الخلق في حد ذاتها أمر لا يمكن مقارنته بأي شيء آخر. عندما خلق الله الأشياء المادية، فقد دعاها إلى الوجود من العدم. وإنّ هذا التصريح لبعيد كل البعد عن فكرة أنّ لا شيء أنتج شيئاً. فمن الواضح أنه لا يمكن أن ينتج أي شيء من العدم واللاشيء. فالكتاب المقدس يقول بأنّ كل شيء قد برز إلى الوجود من موارد الله اللانهائية. فالله هو مصدر كل ما هو موجود. لقد تسببت إرادة الله الذاتية الحرة في خلق العالم المادي، كما هو مذكور في رومية ٣٦:١٠ «لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد آمين.» يقول هذا العدد بأن الخلق عمل الله، فلا يعزى إلى غيره. لكن (كولوسي ١:١٦-١٧) يؤكد مستخدماً نفس التعبيرات العامة أنّ كل الأشياء قد خُلِقت من قبل المسيح وله وانه موجود قبل كل الأشياء، وان كل الأشياء قد خلقت بواسطته.»

مُعطي الحياة

لقد كانت أروع لحظات الخلق تلك التي خلق فيها اللـه الإنسان «ونفخ في أنفه نسمة حياة» (تكوين ٢:٧). ويقول اللـه في تثنية ٣٢:٣٩، بعد تصريحه، «أنا أنا هو وليس إله معي،» بأنه هو الذي يعطي الحياة «أُحيي» (قارن مع مزمور ٣٦:٩).

قال يسوع، «لأنه كما أنّ الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضاً يحُيي من يشاء (يوحنا ٥:٢١). قال يسوع قبيل إحيائه لعازر من بين الأموات «أنا هو القيامة والحياة» (يوحنا ١١:٢٥). كما انه ذهب إلى حدّ قال معه بأنه مُعطي الحياة الأبدية. «وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي ... أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠:٢٨-٣٠). قال يسوع بأنّ الكتب (مشيراً إلى العهد القديم) تشهد له «.. تشهد لي، ولا تريدون أن تأتوا إليّ لتكون لكم حياة» (يوحنا ٥:٣٩-٤٠).

غافر الخطايا

اللــه هو غافر الإثم والمعصية والخطية (خروج ٣٤:٧، انظر أيضاً نحميا ٩:١٧؛ مزمور ٨٦:٥؛ ١٣٠:٤؛ إشعياء ٥٥:٧؛ إرميا ٣١:٣٤؛ دانيال ٩:٩؛ يونان ٤:٢). ويستطيع يسوع ابن اللــه، أن يغفر الخطية. يقول الرسول بولس في رسالته إلى أهل (كولوسي ٢:١٣و٣:١٣) إنّ يسوع هو الذي يغفر الخطايا. قال يسوع لبولس بأن عليه أن يؤمن به لينال غفران الخطايا (أعمال ٢٦:١٨).

جاء إليه بعض الأشخاص طالبين الشفاء لصديق مفلوج لهم (مرقس٢:١-١٢). ولما لم يستطيعوا الدخول إلى البيت الذي كان يسوع يعلّم فيه، ثقبوا السقف ودلّوا صديقهم المفلوج. قدّر يسوع إيمانهم وتأثّر به، فقال للمفلوج «يا بني مغفورة لك خطاياك.» «يا للغطرسة ويا لجرأة الافتراض!» هكذا كان تفكير بعض الأشخاص الموجودين. كيف يمكن ليسوع أن يعرف خطايا الرجل المفلوج؟ وكيف يمكنه أن يقدّم الغفران كما لو كانت الخطايا التي ارتكبها هذا الشخص موجهة ضده كما هي ضد اللــه؟ كيف يغفرها وكأن لديه سلطاناً على هذا؟ كان جواب يسوع واضحاً. لم يكن متغطرساً، وإنما كان يقول الصدق، وها هو الدليل، «لكي تعلموا أنّ لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا ... قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك.» وهذا ما حصل. فدهشوا جميعا ومجدوا اللــه.

كتب أ.ت. روبرتسون، عالم اللغة اليونانية، معلقاً على (مرقس ٢:٧)،

«لقد اعتقد هؤلاء أنّ افتراض يسوع لهذا الامتياز أو الحقّ المقصور على اللــه وحده هو تجديف. وكان منطقهم صحيحاً. لكن العيب الوحيد هو استبعادهم إمكانية أن يكون ليسوع علاقة معينة مع اللــه تبرر تصريحه. وهكذا فإنّ الصراع هنا يدور حول قدرة يسوع على إثبات ألوهيته. لقد أدرك يسوع أنه مارس امتيازاً مقصوراً على اللــه بغفرانه

خطايا الرجل المفلوج، فقام بشفائه مُقدّماً تبريراً كافياً لادعائه.»
يقول روبرت ألان كول في تعليقه على هذه الفقرة من إنجيل مرقس، بأنه يمكن النظر إليها من عدة زوايا، لكنها تلتقي جميعاً لتعطي معنىً واحداً. وهو في شرحه للفقرة يعيد صياغتها:

«هناك طريقتان للنظر إلى هذه الفقرة. وكلا خطّي التفسير مثمران (لهما معنى)، وإذا تابعناهما إلى مداهما فسيتداخلان ويصبحان خطاً واحداً. يقول الخط الأول «هل تقولون إنّ الله وحده هو القادر على غفران الخطايا؟ لكني أريد أن أثبت لكم أنّ أمامكم إنساناً يملك نفس القوة. وبهذا المنطق يقود الكتبة المفكرين إلى المعادلة والربط بين يسوع الإنسان والله.»

يؤكد جوش ماكدويل، أحد مؤلفي هذا الكتاب، في محاضرة له حول الغفران:
«لقد أزعجني مفهوم الغفران مدة طويلة من الزمن لأنني لم افهمه. كنت يوماً أعطي محاضرة لطلاب الفلسفة. ووجّه إليّ أحد الطلبة سؤالاً حول لاهوت المسيح، فاستشهدت بالأعداد السابقة من الأصحاح الثاني من مرقس. فقام أحد الطلبة بتحدي الاستنتاج الذي توصلت إليه بأنّ غفران المسيح للرجل يثبت ألوهيته. قال بأن في إمكانه أن يسامح شخصاً دون أن يكون ذلك إثباتاً أنه يدّعي الألوهية. عندما فكرت في ما قاله الطالب الجامعي، عرفت السبب الذي دعا القادة الدينيين يثورون بهذه الحدة على يسوع. أجل. يستطيع المرء أن يقول «أسامحك» ولكن لا يمكن أن يقول ذلك إلاّ للشخص الذي وُجهتْ إليه الإساءة. فإذا أخطأتَ ضدي، بإمكاني أن أقول لك، «أسامحك.» لكن هذا لم يكن ينطبق على

يسوع. فلقد أخطأ المفلوج ضد اللــه الآب، ثم جاء يسوع بسلطانه الخاص ليقول له مغفورة لك خطاياك. من المؤكد أننا نستطيع أن نغفر الإساءات الموجهة ضدنا، ولكن لا يستطيع أحد بأي حال من الأحوال أن يغفر الخطايا المرتكبة ضد اللــه إلاّ اللــه وحده. وهذا ما قاله يسوع.»

لقد كان سلطان يسوع على مغفرة الخطايا مثالاً مذهلاً لممارسته امتيازاً يخصّ اللــه وحده.

الرب شافينا

يقول الرب يهوه في (خروج ٢٦:١٥) «أنا الرب شافيك.» على الرغم من أنّ اللــه أعطى موهبة الشفاء لعدة أشخاص عبر العصور، فإنّ أحداً لـم يَدَّعِ قط أنه يشفي بسلطانه الشخصي كما فعل يسوع. وقد آمن التلاميذ الأوائل بذلك السلطان، وشفوا أشخاصاً وأخرجوا شياطين باسم يسوع (متى ١:١٠؛ مرقس ٣٨:٩؛ لوقا ١٧:١٠). وقد أصاب هذا الأمر أعداءه بالذعر (يوحنا ٢٤:٩). فمن هو الشخص العاقل الذي يمكن أن يقول بأنه كان يشفي ويخرج الشياطين باسمه (سلطانه) الخاص؟ فهذا سيكون بمثابة نزع المجد الذي يخص اللــه وحده.

قال يسوع إنّ له سلطاناً على القوى الشيطانية كجزء من قدرته الشفائية (متى ٢٢:١٢-٢٩)، وهي حقيقة أقرّت بها الشياطين المهزومة معترفة بأنه «قدوس اللــه» و «ابن اللــه» (مرقس ٢٤:١؛ ٧:٥؛ لوقا ٣٤:٤). ولقد وافقت الكنيسة الأولى وعلّمت أنّ كل الملائكة والرياسات والقوات خاضعة له (١بطرس ٢٢:٣). وعندما تقابل بطرس في أعمال ٣٤:٩ مع رجل مفلوج، دعا الرجل باسمه وقال له «يا اينياس، يشفيك يسوع المسيح.» فشفاه فعلاً. وهنا فإننا نجد بأن يسوع الموجود في السماء يعمل كشافٍ، كاللــه. وهكذا يتكلم الكتاب المقدس بصوت قوي ونبرة عالية. لقد اتخذ يسوع لنفسه أسماءً وألقاباً لا يمكن أن تنطبق بحق إلاّ على اللــه. وقد دعي بهذه الأسماء والألقاب من قِبل آخرين: يهوه، اللــه، الألف والياء، الأول والآخر، الرب، المخلّص، الملك، الديّان، الفادي، الرب برّنا. وقد اشترك مع اللــه في ألقاب مثل «النور» و«الصخرة» و«الزوج» (العريس) و«الراعي» و«الخالق» و«معطي الحياة» و«غافر الخطايا» و«الشافي.»

إن كان يسوع هو اللــه، فإنه سيحمل بالإضافة إلى ألقاب اللــه وأسمائه صفات لا يمكن أن تكون إلاّ للــه وحده. فهل حَمَل هذه الصفات؟ وهل يعلّم الكتاب المقدس ذلك؟

الفصل الثالث

يسوع المسيح يمتلك
كل صفات الله

الله فريد. فهو وحده غير مخلوق. وهو خالق الكون كله وحافظه - أي أنه مصدر الخليقة وليس جزءاً منها. نستطيع أن نرى عمل الله أو بصماته في الأشياء المخلوقة، لكن عمله ليس جزءاً من الله أو الله نفسه. على سبيل المثال نقول بأن البشر كائنات شخصية - فنحن نستطيع أن نفكر ونقرر ونتصور ونحب. فنحن مخلوقون على صورة الله، الذي هو نفسه كائن شخصي، لكننا لسنا الله.

إذا كان يسوع المسيح هو الله حقاً، فلا بد أن يمتلك صفات الله ولا يعكسها فقط. سندرس في هذا الفصل خمس صفات مقصورة على الله، ونرى انطباقها على يسوع المسيح.

كلّي الوجود

الله موجود في كل شيء؛ وكل الله (الله كاملاً) موجود في كل مكان في كل نقطة في الكون. وهذا هو المقصود بكونه كلّي الوجود. لكن إيماننا بأن الله موجود في كل شيء لا يعني أن كل شيء هو الله. فعندما نقول بأن الله موجود في كل مكان في نفس الوقت، لا يعني أنه موجود في كل شيء حسب المفهوم الهندوسي الذي يقول بأن كل الخليقة بطريقة ما جزء من الله. فقد خلق الله، على سبيل المثال، الشجرة ولكن الشجرة ليست جزءاً من الله.

كما أن الله كلي الوجود بمعنى شخصي (مزمور ١٣٩:٧؛ أمثال ٣:١٥)، وهو بهذا قادر على مساعدة أولاده وتخليصهم ومحبتهم والدفاع عنهم وتسديد أعمق أشواقهم واحتياجاتهم، فإن العهد الجديد يصف المسيح أيضاً بأنه كلي الوجود. قال بولس بأن «الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل (كل شيء)» (أفسس ٤:١٠). وقال المسيح لتلاميذه، «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (متى ١٨:٢٠). كما قال لهم أيضاً، «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨:٢٠). كما تقول كلمة الله بأن المسيح يسكن قلوب كل الذين يضعون إيمانهم فيه (رومية ٨:٩؛ غلاطية ٢:٢٠؛ أفسس ٣:١٧؛ كولوسي ١:٢٧؛ رؤيا ٣:٢٠). «. . . أم لستم تعرفون أنفسكم (لستم تعرفون هذه الحقيقة عن أنفسكم) أن يسوع هو فيكم؟» (٢كورنثوس ١٣:٥). فكيف يمكن لشخص فانٍ، سواء كان ممّجداً أم لم يكن، أن يدّعي بأنه يسكن في قلوب المؤمنين حول العالم؟

كلّي العلم

عندما نقول إنّ الله كلي العلم، فإننا نعني أن الله يعرف كل شيء يمكن أن يُعرف، سواء كان أمراً واقعاً أم محتملاً على مدى الأبدية. يقول روبرت باسانتينو في كتابه «طبيعة الله وصفاته»:

«معرفة الله كاملة وأبدية لكل الأشياء. فالله يعرف كل ما هو قابل للمعرفة. وتختلف معرفة الله الكلية عن المعرفة التي نكتسبها. فنحن نعرف بالتعلم. أما الله فلا يمر بعملية التعلم حتى يعرف. ولا يأتي علم الله الكلي نتيجة للتفكير المنطقي أو الاستنتاج أو استخدام الحواس أو التصور أو الاستقراء أو الاستدلال. فمعرفته مباشرة ودقيقة وواضحة تتفق مع حقيقة الأمور. ولا توجد مادة للمعرفة إلاّ ويعرفها الله.»

ويصور العهد الجديد المسيح على أنه كلي العلم: عالم بكل شيء - الماضي والحاضر والمستقبل. تقول لنا كلمة الله في (يوحنا ٢٤:٢،٢٥) بأن يسوع «كان يعرف الجميع» لأنه علم «ما كان في الإنسان.» وشهد التلاميذ له قائلين، «الآن نعلم أنك عالم بكل شيء» (يوحنا ٣٠:١٦). كما صرّح بطرس، «يا رب، أنت تعلم كل شيء» (يوحنا ١٧:٢١).» وتمشياً مع معرفته الكلية، قال الكتاب المقدس بأنه عرف من سيخونه (يوحنا ٦٤:٦).

يقول الدكتور جون والفورد في كتابه «يسوع المسيح ربنا» عن معرفة المسيح الكاملة:

«وبنفس الطريقة فإن معرفة المسيح السابقة تتأكد لنا في فقرات ومواضع كتابية أخرى (يوحنا ١:١٣،١١؛ ٤:١٨؛ ٢٨:١٩). وانسجاماً مع علمه الكلي تقول كلمة الله بأنه يملك حكمة الله (١كورنثوس ٣٠:١). ولا يمكن أن تنسب مثل هذه الصفات حتى إلى أكثر الأنبياء حكمة. فهي

تشكل إذاً دليلاً آخر على أنه يمتلك كل الصفات الإلهية.»

يقول توماس شولتز:

«تفوق معرفة المسيح أي كائن بشري بمراحل بعيدة. فهو ليس مجرد شخص عبقري أو مجرد أكثر البشر حكمة. إذ تتجاوز حكمته كل المحدوديات أو القيود البشرية ولا يمكن تصنيفها إلاّ كمعرفة كاملة. فهو أولاً: يعرف أفكار الإنسان الداخلية وذكرياته، وهي صفة مميزة لله (١ملوك ٨:٣٩؛ إرميا ١٧:٩-١٦). رأى الشرّ في قلوب الكتبة (متى ٩:٤)؛ وعرف مسبقاً الذين سيرفضونه (يوحنا ١٠:٦٤)، والذين سيتبعونه (يوحنا ١٠:١٤). استطاع أن يقرأ قلوب الناس وأفكارهم (مرقس ٢:٨؛ يوحنا ١:٤٨؛ ٢:٢٤،٢٥؛ ٤:١٦-١٩؛ أعمال ١:٢٤؛ ١كورنثوس ٤:٥؛ رؤيا ٢:١٨-٢٣). لا يستطيع البشر أن يفعلوا أكثر من تخمين ذكي لما في قلوب الآخرين وأفكارهم. ثانياً: يمتلك المسيح معرفة لحقائق أخرى تتعدى قدرة أي إنسان على استيعابها. فقد عرف مكان السمك تماماً في الماء (لوقا ٥:٤-٦؛ يوحنا ٢١:٦-١١)، وعرف أية سمكة تحوي العملة المعدنية (متى ١٧:٢٧). كما عرف الأحداث المستقبلية (يوحنا١١:١١؛ ١٨:٤)، والتفاصيل التي سيواجهها (متى ٢١:٢-٤)، وعرف بأن لعازر قد مات (يوحنا ١١:١٤). ثالثاً: كانت له معرفة داخلية للذات الإلهية مُظهراً أنّ له أوثق اتصال ممكن مع الله. بالإضافة إلى المعرفة الكاملة فهو يعرف الآب كما يعرفه الآب (متى ١١:٢٧؛ يوحنا ٧:٢٩؛ ٨:٥٥؛ ١٠:١٥؛ ١٧:٢٥). رابعاً: يُعلم الكتاب المقدس أنّ المسيح يعرف كل الأمور والأشياء (يوحنا ١٦:٣٠؛٢١:١٧)، وأنّ كل كنوز الحكمة والمعرفة مذّخرة فيه (كولوسي ٢:٣).

كلّي القدرة

يمكن ترجمة الكلمة العبرية «ايل شدّاي» (El Shaddai) إلى «الله القدير» وهي تفيد أنّ الله كلّي القدرة أو كامل القوة. وقد شهدت معجزات المسيح لقدرته وقوته وسيطرته على العالم المادي. لكن كلماته وقيامته تعلنان سلطانه وقدرته على كل الخليقة.

يقول الدكتور جون والفورد:

«إنّ الدليل على قدرة المسيح الكلية حاسم مثله في ذلك مثل بقية الصفات الإلهية. وتأخذ هذه القدرة أحياناً الشكل المادي، لكنها تشير في أحيان كثيرة إلى سلطانه على الخليقة. إذ للمسيح القدرة على مغفرة الخطايا (متى ٩:٦)، وله كل سلطان (قوة أو قدرة) في السماء وعلى الأرض (متى ٢٨:١٨)، وله سلطان على الطبيعة (لوقا ٨:٢٥)، وسلطان على حياته (يوحنا ١٠:١٨)، والقدرة على إعطاء الحياة الأبدية للآخرين (يوحنا ١٧:٢)، والقدرة على أن يشفي الآخرين جسدياً، كما تشهد له معجزاته الكثيرة، بالإضافة إلى قدرته على إخراج الشيطان (مرقس ١:٢٩-٣٤)، والقدرة على تغيير الأجساد البشرية (فيلبي ٣:٢١). وبفضل قيامته «فإنه يقدر أن يُخلّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله» (عبرانيين ٧:٢٥). وهو قادر أن «يحفظ وديعتي (ما أودعتكم إياه) إلى ذلك اليوم» (٢تيموثاوس ١:١٢). «وهو القادر أن يحفظكم غير عاثرين ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج، الإله الحكيم الوحيد مخلّصنا له المجد والعظمة والسلطان الآن وإلى كل الدهور، آمين.» (يهوذا ٢٤؛ قارن مع أفسس ٥:٢٧). ويبدو أن النص اليوناني ليهوذا ٢٥ يوحي بأنّ هذا يحدث من خلال «يسوع المسيح ربنا،» أي أنّ، الذي يحدثه هو الله الآب؛ لكن على أية حال فإنّ هناك حاجة لقدرة المسيح. إنّ من الملاحظ أنّ تجسد المسيح وموته وقيامته سمحت له أن يتصرف ويتعامل مع الخطيئة من أجل خلاصنا. لكن قدرته الكلية محدودة ضمن ما هو مقدس وحكيم وصالح (أي أنه لا يقدر أن يرتكب خطيئة لأن ذلك مناقض لطبيعته).

الوجود السابق (الأزلي)

هناك صفة أخرى من صفات المسيح ألا وهي مشاركته لله في الأزلية. إذ تدعم فقرات كتابية كثيرة وجود المسيح قبل ولادته، ليس كمجرد فكرة في علم الله السابق وإنما كوجود حقيقي.

قال يسوع، «خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب» (يوحنا ١٦:٢٨). قال يسوع مراراً بأنه أرسل إلى هذا العالم، وقد عنى بذلك أنه كان خارج هذا العالم (يوحنا ٣:٣٢-٣٤؛ ٤:٣٤؛ ٥:٢٣،٢٤،٣٦-٣٨؛ ٦:٢٩، ٣٣، ٣٨؛ ٧:١٦،١٨، ٨:٢٨،٢٩،٣٣؛ ٨:١٨،٢٩،٣٨،٤٢؛ ١٣:٢٠؛ ١٦:٣٠؛ ١٧:٨؛ ... الخ). قال لنيقوديموس، «وليس أحد صعد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء (يوحنا ٣:١٣). وقال «أنا هو ego eimi الخبز الحي الذي نزل من السماء ...» (يوحنا ٦:٥١؛ أنظر أيضاً العدد ٥٨). وقال المسيح، «فإن (فماذا لو) رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً» (يوحنا ٦:٦٢). وقال يوحنا المعمدان عن المسيح، «الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، وما رآه وسمعه به يشهد ..» (يوحنا ٣:٣١،٣٢).

وصلّى يسوع مرة أخرى، «الآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم.» (يوحنا ١٧:٥). وقد افترض كاتب الرسالة إلى العبرانيين الوجود السابق للمسيح عندما كتب أنّ موسى حسِبَ عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر» (عبرانيين ١١:٢٦). ويقول الكتاب المقدس في رؤيا ١٣:٨ بأنّ يسوع يملك «سفر الحياة منذ تأسيس العالم.»

أما يوحنا المعمدان الذي ولد قبل المسيح بستة أشهر فقال، «الذي يأتي بعدي صار قدامي (رتبة) لأنه كان قبلي» (يوحنا ١:١٥،٣٠). يشير العدد الثلاثون بكل وضوح إلى أنّ يوحنا المعمدان كان يقصد يسوع وليس «الله.» ومن المستحيل أن يكون يوحنا المعمدان يشير هنا إلى أنّ يسوع

كان موجوداً في معرفة الله السابقة، كما يعتقد البعض، لأن الله الكلي المعرفة عرف يوحنا معرفة سابقة أيضاً.

يتحدث الكتاب المقدس بصوت موحَّد. فيسوع كائن أزلي. وهذا يتفق مع ظهورات الله في شكل مادي في العهد القديم. مثلاً تكوين ١٨:١-١٩؛ ١٦:٧-١٣؛ ١٦،٢٢:١٥؛ ٣١:١١-١٣؛ ٣٢:٣٠؛ ١٦،٤٨:١٥؛ خروج ٤:٢-٤ (بالإشارة إلى ٣:٢)؛ ١ أخبار الأيام ٢١:١٥-١٩؛ مزمور ٧،٣٤:٦؛ زكريا ١٢:١٠ (بالإشارة إلى يوحنا ١٩:٣٧)؛٤،١٤:٣ (بالإشارة إلى أعمال ١:٩-١٢). فهذه تشكل بعضاً من الفقرات الرئيسية الكثيرة التي تظهر أنّ الله ظهر ظهوراً مادياً.

السرمدية ـ الأزلية الأبدية

إله الكتاب المقدس إله أبدي. أي أنه يتجاوز الزمن، وهو مصدر للزمن. ولم يكن هناك زمن لم يكن فيه الله موجوداً. ولن يكون هناك زمن لا يكون الله فيه موجوداً (خروج ٣:١٤؛ حبقوق ٣:٦؛ تثنية ٢٧،٣٣:٢٦). ولا يوجد من هو أبدي إلاّ الله.

إنّ يسوع المسيح أيضاً أبدي. لم تكن له «بداية»، كما يدعي شهود يهوه وجماعة الطريق الدولي أيضاً، (ولحدٍ ما، المورمونيون).

قال النبي ميخا متنبئاً عن ولادة المسيح، «مخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل» (ميخا ٥:٢). كما تحدث إشعياء عن مولد المسيح فقال إنه يُدعى «أباً أبدياً» (إشعياء ٩:٦). ويمكن ترجمتها على نحو أفضل إلى «أبا الأبدية.» قال يسوع، «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (يوحنا ٨:٥٨). والنص اليوناني يستخدم هنا صيغة المضارع لا الماضي فهو لم يقل «أنا كنت.» ويوضح ف.ف. بروس قائلاً، «لو كان للمسيح مجرد وجود سابق، لا أزلي أيضاً، لقال: «قبل أن يكون إبراهيم كنت.» لكن يسوع مضى خطوة أبعد من ذلك فتحدث عن نفسه باستخدامه تعبير «أنا كائن» أي الأبدي الدائم الوجود.

ويقول جي كامبيل، «تفيد الكلمات «أنا كائن» سرمدية الوجود السابق لكل الجنس العبري، الموجود في الكينونة الأبدية (الله).»

ويقدم ويليام باركلي تعليقاً هاماً فيقول،

«يسوع لا زمني. لم يكن هناك وقت قط دخل فيه المسيح إلى حيّز الوجود، ولن يوجد وقت سيتوقف فيه عن الوجود. لا نستطيع أن نقول عن يسوع «لقد كان.» يجب أن نقول دائماً «إنّه يكون» أو «أنه الكائن.» نرى في يسوع لا زمنية الله، الذي كان إله إبراهيم واسحق ويعقوب، الذي كان قبل الزمن وسيظل بعده فهو دائم الوجود.»

عدم التغيير (الثبات)

اللــه غير قابل أو معرض للتغير. فعلى الرغممن أنه يعمل في الزمان، ويؤسس ويغير علاقات في الزمان، فإن جوهره الذي يشمل صفاته لا يتغير أبداً (ملاخي ٦:٣؛ يعقوب ١٧:١؛ مزمور ١١:٣٣؛ إشعياء ٤٦:١٠،٩). ولهذا نستطيع الاعتماد على محبته لنا اعتماداً أبدياً وعلى حفظه لوعوده. من الواضح أنّ يسوع مرّ في تغيرات تطورية بشرية. أما بالنسبة لطبيعته الإلهية فإن الكتاب المقدس يؤكد بكل شجاعة أن «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (عبرانيين ٨:١٣). وهو يشترك مع الآب في جوهر واحد لا يتغير.

وهكذا فإننا نرى أن هناك أعداداً كثيرة في الكتاب المقدس تكشف أنّ يسوع يمتلك كل صفات اللــه السرمدي.

الفصل الرابع

يسوع المسيح يمتلك سلطان الله

نرى سلطان الله في يسوع عندما تحدث المسيح عن نفسه كشخص يستحق العبادة. كما قال إنّ له سلطاناً أن يقيم نفسه من الأموات، وتحدث بسلطان مهيب كالله نفسه.

قبوله للعبادة

إنّ موضوع العبادة في الكتاب المقدس هو أحد المواضيع الواضحة تماماً. فالعهدان القديم والجديد يؤكدان أنّ العبادة هي لله وحده. قال يسوع لإبليس عندما حاول أن يجربه، «للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (متى ٤:١٠؛ لوقا ٤:٨). ولا يصحّ لبشر أو ملاك أن يتلقى العبادة (متى ٤:١٠؛ رؤيا ١٩:١٠؛ ٩،٢٢:٨). إذ لا يمكن أن يعطي الله مجده لآخر (إشعياء ٤٢:٨).

يستخدم الكتاب المقدس بشكل رئيس كلمة واحدة للعبادة وهي الكلمة اليونانية «بروسكونيو» وهي الكلمة التي استخدمها يسوع في حديثه مع إبليس وإيضاحه وجوب عبادة الله وحده، وقد استُخدِمت أكثر من غيرها في وصف عبادة الله (يوحنا ٤:٢٤؛ رؤيا ٥:١٤؛ ٧:١١؛ ١١:١٦؛ ... الخ).

قال رجل ليسوع بعد أن شفاه، «أؤمن يا سيد وسجد له (أي عَبَدَهُ)». وهي صيغة الماضي من بروسكونيو (يوحنا ٩:٣٨). وتستخدم نفس الكلمة في (متى ١٤:٣٣)، عندما سجد التلاميذ ليسوع (بمعنى عبدوه) بعد أن رأوه

ماشياً على الماء. وفي مرة أخرى عندما رأى التلاميذ يسوع قبل القيامة وبعدها. نجد في كل هذه الحوادث أن نفس يسوع الذي سبق أن انتهر الشيطان لمحاولته أن يجربه بالعبادة الخاطئة لم يحجم عن تلقي العبادة مُظهراً استنكاره ورفضه التام لتقديم العبادة للشيطان، على أساس أن العبادة هي لله وحده. لكن يسوع قبل العبادة كحق له.

نجد في عبرانيين ١:٦ أنّ الله يطلب من الملائكة أن تسجد ليسوع (بروسكيونيو) أي تعبدهُ. كما نجد في رؤيا ٥:٨-١٤ فقرة كاملة من التسبيح والعبادة مخصصة ليسوع «الحمل» ولله. وصرح بولس في فقرة قوية بأن كل ركبة في السماء وعلى الأرض ستجثو للعبادة لاسم يسوع، وسيعترف كل إنسان بأن يسوع رب (فيلبي ٢: ١٠، ١١).

لقد تم تقديم العبادة لابن الله من خلال أعمال لا حصر لها في العهد الجديد عندما أصبح ابنُ الإنسان نفسهُ هو موضوع الإيمان والرجاء والتوقير والمحبة.

إنّ الشهادة الموحدة لكنيسة العهد الجديد وللكنيسة عبر القرون هي أنّ الله المثلث الأقانيم، الآب والابن والروح القدس مستحق للعبادة.

السلطان لإقامة نفسه من الأموات

حتى عندما كان يسوع خاضعاً كإنسان للموت، قال بأن له سلطاناً لإقامة نفسه (من بين الأموات)، وهذه قوة لا يملكها إلاّ الله. وقد يسأل بعضهم، «إذا كان يسوع هو الله، فكيف يمكن أن يقيم نفسه؟» قال يسوع في (يوحنا ٢:١٩)، «انقضوا هذا الهيكل (مشيراً إلى جسده - العدد ٢١) وفي ثلاثة أيام أقيمه.» أما عن حياته فقال، «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً» (يوحنا ١٠:١٨).

تكلمه كالله

لـم يكتف يسوع بأن ينسب إلى نفسه أسماء اللـه وألقابه وصفاته وسلطان إقامة نفسه من بين الأموات وتلقي العبادة، لكنه نطق بأشياء لا يحق إلاّ اللـه أن ينطق بها. فعندما أرسل الفريسيون أشخاصاً للقبض عليه، عاد هؤلاء خالين الوفاض. فسألهم الفريسيون عن السبب الذي منعهم من إلقاء القبض عليه، فكان جوابهم، «لـم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان.» وكانوا على حق فيما قالوه.

من الصعب أن يقرأ المرء روايات الإنجيل دون أن يدهشه سلطان يسوع الإلهي. فقد دعا الناس أن يتبعوه، حتى إلى درجة التضحية بحياتهم من أجله. لقد تحدث بسلطان شخصي فريد.

كان المعلمون الآخرون في أيامه كالكتبة والفريسيين يستشهدون بالناموس والأنبياء (العهد القديم) لتثبيت ما يريدون قوله. لكن يسوع قال، «الحق الحق أقول لكم ... » و «وأما أنا فأقول ... » وقد أكدت الأحداث سلطانه. هربت الشياطين بكلمة منه. كما سكنت الريح وهدأ البحر خضوعاً لأمره. أقام الموتى وجعل المقعدين يمشون، وفتح أعين العمي.

كتب سي. أس. لويس في كتابه «المسيحية الخالصة»:

إنّ شخصاً لـم يكن إلاّ مجرد إنسان قال مثل هذه الأمور التي تفوه بها يسوع لا يمكن أن يكون معلماً أخلاقياً عظيماً. فإما أن يكون مجنوناً - على مستوى جنون شخص يقول إنه بيضة مقليّة - أو أن يكون شيطان الجحيم نفسه. وعليك أن تقرر بنفسك ما إذا كان هذا الشخص ابن اللـه، أو مجنوناً أو شيئاً أسوأ. تستطيع أن ترفضه كشخص أحمق، أو تبصق في وجهه وتقتله كشيطان، أو تسقط عند قدميه وتدعوه رباً وإلهاً. لكن لا تتنازل فتقول كلاماً فارغاً بأنه معلم أخلاقي عظيم. فهو لـم يترك هذا كخيار مفتوح أمامنا ولـم يكن ذلك قصده.»

مفردات كتابية بالأسماء والألقاب والصفات

التي تثبت أنّ يسوع ويهوه واحد

«لكن لنا إله واحد . . . » اكورنثوس ٨:٦

الوصف	استخدامه لله	انطباقه على يسوع
يهوه «أنا هو» أو «أنا كائن»	خروج ٣:١٤؛ تثنية ٣٢:٣٩؛ إشعياء ٤٣:١٠	يوحنا ٨:٢٤؛ يوحنا ٨:٥٨؛ يوحنا ١٨:٤-٦
الله	تكوين ١:١؛ تثنية ٦:٤؛ مزمور ٤٥:٦،٧	إشعياء ٧:١٤؛٩:٦؛ يوحنا ١:١،١٤؛ ٢٠:٢٨؛ أعمال ٢٠:٢٨؛ تيطس ٢:١٣ عبرانيين ١:٨؛ ٢بطرس ١:١
الألف والياء (الأول والآخر)	إشعياء ٤١:٤؛ ٤٨:١٢؛ رؤيا ١:٨	رؤيا ١:١٧،١٨؛ ٢:٨؛ رؤيا ٢٢:١٢-١٦
الرب	إشعياء ٤٥:٢٣	متى ١٢:٨؛ أعمال ٧:٥٩،٦٠؛ أعمال ١٠:٣٦؛ رومية ١٠:١٢؛
		اكورنثوس ٢:٨؛ ١٢:٣؛ فيلبي ٢:١٠،١١
المخلّص	مزمور ٩٥:٣؛ إشعياء ٤٣:١٥؛ اتيموثاوس ٦:١٤-١٦	رؤيا ١٧:١٤؛ ١٩:١٦
الديان	تكوين ١٨:٢٥؛ مزمور ٥٠:٤،٦؛ مزمور ٩٦:١٣؛ رومية ١٤:١٠	يوحنا ٥:٢٢ ٢ كورنثوس ٥:١٠ ٢ تيموثاوس ٤:١
النور	٢ صموئيل ٢٢:٢٩ مزمور ٢٧:١؛ إشعياء ٤٢:٦	يوحنا ١:٤،٩؛ ٣:١٩؛ يوحنا ٨:١٢؛ ٩:٥
الصخرة	تثنية ٣٢:٣،٤؛ مزمور ٨٩:٢٦؛ ٢ صموئيل ٢٢:٣٢	رومية ٩:٣٣؛ ابطرس ٢:٤-٨؛ ١ كورنثوس ١٠:٣،٤

الفادي	مزمور ١٣٠، ٨:٧؛ إشعياء ٤٨:١٧؛ ٥٤:٥؛ ٦٣:٩	أعمال ٢٠:٢٨؛ أفسس ١:٧؛ عبرانيين ٩:١٢
برّنا	إشعياء ٤٥:٢٤	إرميا ٢٣:٦؛ رومية ٣:٢١-٢٢
الزوج (العريس)	إشعياء ٥٤:٥؛ هوشع ٢:١٦	متّى ١:٢٥؛ مرقس ٢،١٩:١٨؛ ٢كورنثوس ١١:١٢؛ أفسس ٥:٢٥-٣٢؛ رؤيا ٢،٩:٢١
الراعي	تكوين ٤٩:٢٤؛ مزمور ٢٣:١؛ ٨٠:١	يوحنا ١٠، ١٦:١١؛ عبرانيين ١٣:٢٠؛ ١بطرس ٢:٢٥؛ ٥:٤
الخالق	تكوين ١:١؛ أيوب ٣٣:٤؛ مزمور ٢،٢٦:١٠٢:٢٥؛ إشعياء ٤٠:٢٨	يوحنا ١٠،٣،١:٢؛ كولوسي ١:١٥-١٨؛ عبرانيين ١:١-١٠،٣
مُعطي الحياة	تكوين ٢:٧؛ تثنية ٣٢:٣٩؛ ١صموئيل ٢:٦؛ مزمور ٣٦:٩	يوحنا ٥:٢١؛ ١٠:٢٨؛ يوحنا ١١:٢٥
غافر الخطايا	خروج ٣٤:٦-٧؛ نحميا ٩:١٧؛ دانيال ٩:٩؛ يونان ٤:٢	مرقس ٢:١-١٢؛ أعمال ٢٦:١٨؛ كولوسي ٢:١٣؛ ٣:١٣
الرب شافينا	خروج ١٥:٢٦	أعمال ٩:٣٤
كلّي الوجود	مزمور ١٣٩:٧-١٢؛ أمثال ١٥:٣	متّى ١٨:٢٠؛ ٢٨:٢٠؛ أفسس ٣:١٧؛ ٤:١٠
كلّي العلم	١ملوك ٨:٣٩؛ إرميا ١٧،٩:٩-١٦،١٠	متّى ١١:٢٧؛ لوقا ٥:٤-٦؛ يوحنا ٢:٢٥؛ ١٦:٣٠؛ يوحنا ٢١:١٧؛ أعمال ١:٢٤
كلّي القدرة	إشعياء ٤٠:١٠-١٣؛ إشعياء ٤٥:٥-١٣،١٨	متّى ٢٨:١٨، يوحنا ١٠:١٨؛ مرقس ١:٢٩-٣٤؛ يهوذا ٢٤

الوجود السابق	تكوين ١:١	يوحنا ١٥:١،٣٠؛ ١٣:٣،٣١،٣٢ يوحنا ٦٢:٦؛ ٢٨:١٦؛ ٥:١٧
سرمدي (أزلي أبدي)	مزمور ٢٦:١٠٢،٢٧ حبقوق ٦:٣	إشعياء ٦:٩؛ ميخا ٢:٥؛ يوحنا ٥٨:٨
عدم التغيير	إشعياء ٩:٦٤،١٦؛ ملاخي ٦:٣ يعقوب ١٧:١	عبرانيين ٨:١٣
متلقٍ للعبادة	متّى ١٠:٤؛ يوحنا ٢٤:٤؛ رؤيا ١٤:٥؛ ١١:٧؛ ١٦:١١	متّى ٣٣:١٤؛ ٩:٢٨؛ يوحنا ٣٨:٩؛ فيلبي ١٠:٢،١١ عبرانيين ٦:١
متحدث بسلطان الهي	«هكذا يقول الرب . . .» مستخدمة مئات المرات	متّى ٢١:٥،٢٧،٣٢،٣٤،٣٩،٤٤ متّى ٣٤:٢٣-٣٧؛يوحنا ٤٦:٧ «الحق الحق أقول لكم . . .»

الفصل الخامس

أصبح الله إنساناً في يسوع المسيح

يُعلّم الكتاب المقدس أن يسوع كان إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً في نفس الوقت. قال بولس عن يسوع، «فإنه فيه يحلّ كل ملء اللاهوت (الله) جسدياً. فعلاقة يسوع مع الآب والروح القدس علاقة فريدة ضمن الثالوث الأقدس.

لقد اختار المسيح في تجسده طوعاً أن يضع نفسه تحت سلطان الآب. لم يفعل ذلك لأنه كان مضطراً، ولكن لأنه اختار ذلك كجزء من خطة الله. ويشرح بولس هذه الفكرة في فيلبي ٢:٥-٨.

«فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب.»

إنّ تخلي يسوع عن مساواته بالآب يفترض أنه كان مساوياً له. (الكلمة اليونانية المترجمة مساواة هنا مشتقة من جذر كلمة إيزوس المستخدمة في الهندسة في وصف المثلث المتساوي الساقين).

كما تعلّم هذه الفقرة أنّ يسوع كان موجوداً في هيئتين: كالله (عدد٦) وكعبد (عدد٧). «وُجِدَ في الهيئة كإنسان.» وتشير هذه الحقيقة التي ذكرها بولس إلى حدوث غير المتوقع - أن يصبح الله إنساناً. ولا تشير كلمة «خلسة» إلى أن يسوع كان يحاول اختلاس المساواة مع الله، ولكنها تشير إلى أنه، وهو المعادل لله، لم يتمسك أو يتشبث بامتيازاته الإلهية وهو على الأرض. فقد عاش حياته الأرضية بقوة الله. لقد أصبح

الله الابن الذي خضع (خضوعاً وظيفياً وليس بالطبيعة) لله إنساناً آخذاً طبيعة بشرية، حقيقية ثانية. ثم قام طوعاً بفعل هذا الخضوع بتقديم نفسه ذبيحة من أجل خطايا العالم.
إن خضوع يسوع لا يتنافى مع مساواته الجوهرية للآب والروح القدس. إذ لابد أن يكون الله الابن من نفس طبيعة الله الآب. وهذا واضح في (يوحنا ١٨،٥:١٧). يعلّق المفسّر ليون موريس على هذين العددين فيقول:

«نقرأ أن يسوع شفى رجلاً كسيحاً في أورشليم يوم سبت، وأنه دخل في صراع عنيف مع قادة اليهود نتيجة لذلك. كان دفاع يسوع عن نفسه، «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يوحنا ١٧:٥). ثارت ثائرة اليهود لأنه لم ينقض السبت فحسب، بل دعا الله أباً له معادلاً نفسه بالله (عدد ١٨). لا تشير صيغة الفعل المستخدمة هنا «يعمل» و «أعمل» إلى حدث واحد معزول، بل إلى ممارسة مستمرة. كما أنّ هذه الممارسة لم تكن بلا هدف، أو أنها تعزى إلى إهمال أو تقصير ديني أو ما شابه. فهي تنبع من فكرة يسوع عن علاقته بالآب السماوي. فقد تصرف كما تصرف يوم السبت لأنه كان الابن. ولهذا رأى اليهود في نظرته للسبت أكثر من مجرد كسر لإحدى الوصايا، ولكن تجديفاً من أخطر نوع: «معادلاً نفسه بالله.» ولهذا اضطهدوه.

فكما كان الآب يعمل باستمرار (المعنى المتضمن في العمل هو حفظ الكون وما شابه) فإن يسوع كان يعمل بطريقة مماثلة - ليس كخادم يطيع الآب، ولكن على قدم المساواة مع الآب.
يقول الاستاذ اي.و.هينجستبرج:

«إنّ فكرة استمرار الله في العمل يوم السبت بشكل لا يقلّ عن عمله في أي يوم آخر، كانت أمراً معروفاً لدى اليهود في زمن المسيح. فالراحة

في السبت كما هو مبين في تكوين ٢:٣ تشير بكل جلاء إلى عمل الخلق ذاته. وهذا ما فهمه اليهود تماماً. فالراحة المُشار إليها تتعلق بالسبت الأول. أما العمل الإلهي اللاحق فلا يعرف تمييزاً بين الأيام. ولقد كان واضحاً أنّ يسوع يدعو الله أباه بطريقة تختلف عن تلك التي يدعوه فيها كل الشعب اليهودي أباً (إشعياء ٦٤:٧). وقد أدرك اليهود ذلك من النتيجة التي توصل إليها يسوع حول تلك العلاقة (وهي أن بنوته الفريدة لله هي التي تجعله يعمل جنباً إلى جنب مع الآب).»

يحاول يسوع أن يقول أنه كما أنّ الآب يعمل، فإنّ الابن يعمل أيضاً. ولم يكن اختياره للكلمات مصادفة. فقد قصد بالسبت الراحة، لا العمل، وكان يسوع قد شفى لتوه شخصاً في السبت مُريحاً إياه من مرضه. لكن يسوع تابع كلامه ليقول إنه والآب، أباه الخاص الفريد، يعملان. فكما أن الآب يقوم باستمرار بحفظ الكون، يقوم يسوع أيضاً باستمرار بحفظ الكون (أنظر أيضاً كولوسي ١:١٦). لقد كان هذا الأمر تجديفاً بالنسبة لليهودي.
لقد فهم اليهود ما قصده المسيح بقوله إنّ الله أبوه على نحو فريد خاص. لم يقصد يسوع، كاليهود، بأنّ الله هو «أبونا» بمعنى عام تحت رباط العهد الذي قطعه معهم. لكنه باستخدام تعبير «أبي» قصد بأنه يتمتع بعلاقة خاصة وفريدة وطبيعية مع الآب.
يقول سي.كي.باريت في تفسيره لإنجيل يوحنا:

«دعا يسوع الله أباه ... ولم يكن التعبير معروفاً أو مستخدماً في المجال اللاهوتي ... وإن افتراض توافق وانسجامٍ في عمل مشترك بين يسوع والله لا يمكن أن يعني إلاّ أنّ يسوع معادلٌ لله.»

لأن يسوع اتخذ هيئة بشرية في تجسده، فإننا نستطيع أن نرى الله في

أكمل معنى ممكن في هذا العالم. نرى في يسوع المسيح، وهو الله - الإنسان، «مجداً كما لوحيد من الآب» (يوحنا ١:١٤). غير أن هناك فقرات أخرى تقول، «الإنسان لا يراني (الله) ويعيش» (خروج ٣٣:٢٠)، «الله لم يره أحد قط» (يوحنا ١:١٨)، «الذي لم يره أحد من الناس ولا يستطيع أن يراه» (١تيموثاوس ٦:١٦)، «الله الذي لم يبصره» (١يوحنا ٤:١٢، الخ).
إنه لأمر صحيح أنه لا يمكن لأحد أن يرى الله كاملاً بكل قدرته ومجده ويعيش. حتى أنّ وجود كائنات ملائكية أوقع خوفاً وخشوعاً كبيرين في قلوب الناس الأتقياء، إلى درجة قريبة من الموت (دانيال ١٠:٥-١١).
غير أنّ البشر «رأوا» الله. فعندما طلب موسى أن يرى الله أجابه، «الإنسان لا يراني ويعيش.» لكن الله دبّر وسيلة لذلك، «وقال الله هوذا عندي مكان. فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نُقرة في الصخرة أسترك بيدي حتى أجتاز. ثم أرفع يدي فتنظر ورائي وأمّا وجهي فلا يرى» (خروج ٣٣:٢١-٢٣). وهكذا فقد رأى موسى الله، لكن إلى درجة يستطيع تحملها. وهناك أمثلة أخرى أيضاً رأى فيها أشخاص الله. فبعد أن تصارع يعقوب مع إنسان، في ظهور مادي لله، يقول الكتاب المقدس بأنه «جاهد مع الله» (تكوين ٣٢:٢٨؛ هوشع ١٢:٣-٤ حيث يتضح أنّ الجهاد هو الصلاة لله). قال يعقوب «نظرت الله وجهاً لوجه ونجّيت نفسي» (تكوين ٣٢:٣٠). لقد رأى موسى وهارون وناداب وأبيهو مع سبعين شيخاً من شيوخ إسرائيل وقادتهم، إله إسرائيل ... فرأوا الله. (خروج ٢٤:٩-١١). كما صرخ والد شمشون قائلاً، «نموت موتاً لأننا قد رأينا الله» (قضاة ١٣:٢٢). وقال إشعياء بعد أن تلقى رؤيا سماوية لله، «رأيت السيد ... لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود» (إشعياء ٦:١-٣،٥). يوضح الوحي الإلهي في (يوحنا ١٢:٤١) أن المقصود هنا هو يسوع. «قال إشعياء هذا حين رأى مجده.»
وهكذا فإنّ الصورة التي يقدمها لنا الكتاب المقدس هي أنّ الإنسان لا يستطيع أن يرى كل مجد الله وقوته ويبقى حياً. غير أنّ الله قد شوهد

بدرجة لـم تستطع معها قدراتنا البشرية أن تدركه.
يُعلّم الكتاب المقدس أن اللـه قد شوهد في الزمان والتاريخ في شخص يسوع المسيح. قال يسوع إنّ رؤيتنا له هي بمثابة رؤيتنا للـه (يوحنا ١٢:٤٥؛ ١٤:٥-٩). ويقول (كولوسي ١:١٥) إنّ المسيح «هو صورة اللـه غير المنظور.» كما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين بأنّ المسيح هو بهاء مجده (مجد الآب) ورسم جوهره (التجسيد الكامل لطبيعة الآب)» (عبرانيين ١:٣). والكلمة اليونانية المستخدمة تعني نسخة طبق الأصل، وهذا التعبير أقوى من ذاك الموجود في (كولوسي ١:١٥). يقول جوزيف هـ. ثاير، بأنّ هذا التعبير كان يستخدم للدلالة على الأثر الذي يتركه ختم على شمع أو معدن. إنه الدمغة المطابقة تماماً لطبيعة الختم الأصلي من كل ناحية.
إن إعلان اللـه في المسيح دلالة منذرة بإعلان لاحق كامل للثالوث الأقدس.
جاء يسوع المسيح أول مرة حتى يدعو ويعزي ويستعطف. يقول سي. اس. بولس:

«لماذا يهبط اللـه إلى هذا العالـم الذي يحتله الأعداء متنكراً ومنشئاً نوعاً من المنظمات السرية حتى يقوّض مملكة الشيطان؟ لماذا لا يهبط بكل قوته ويغزوها؟ هل يمكن أن يُعزى السبب إلى افتقاره للقوة الكافية؟ يعتقد المسيحيون أنه سيأتي يوماً بكل قوته، لكننا لا نعرف متى سيكون ذلك. لكننا نستطيع أن نخمن سبب تأخيره لمجيئه. إنه يريد أن يمنحنا فرصة الانضمام إلى صفّه بكل حرية. لا أعتقد أنك وأنا نحترم كثيراً رجلاً فرنسياً انتظر حتى دخل الحلفاء ألمانيا منتصرين ليعلن أنه يقف إلى جانبهم. سيغزو اللـه العالـم، لكنني لا أدري ما إذا كان الأشخاص الذين يسألون اللـه أن يتدخل علناً ومباشرة في عالمنا يدركون بأنّ هذا عين ما سيحدث. وعندما يحدث ذلك، ستكون نهاية العالـم. عندما يدخل كاتب المسرحية المسرح ويمشي على خشبته، يكون ذلك إعلاناً بانتهاء المسرحية. سيقوم اللـه بغزو العالـم يوماً ما، ولكن ما نفع قولك يومئذ

إنك تقف إلى جانبه، عندما ترى كل الكون المادي ينصهر ويذوب مثل حلم. وشيءٍ آخر - شيء لم يخطر ببالك قط - شيء يأتي مدوياً، شيء جميل جداً بالنسبة لبعضنا وفظيع جداً بالنسبة للبعض الآخر بحيث لا يعود لأي منا خيار. وهنا لن يكون الله متخفياً. وسيسبب ذلك إما انفجار محبة أو رعباً لا يقاوم في كل شخص. وسيكون قد فات الأوان عليك لتحديد الجانب الذي ستنضم إليه.»

يسوع المسيح الابن

تستخدم كلمة الابن في الكتاب المقدس بطرق عديدة مختلفة، تدل على البنوة الجنسية أو البنوة بشكل مجازي. وهناك كلمتان يونانيتان تترجمان إلى «ابن»: تيكنون وهيويوس. وكلمة تيكنون، وهي الكلمة المعادلة لكلمة ولد، مشتقة من جذر كلمة لها علاقة بالولادة، ويمكن ترجمتها إلى ابن أو ابنة أو ولد. ويمكن استخدام الكلمة اليونانية الثانية هيويوس حرفياً، لكنها كانت تستخدم بشكل واسع جداً كما تقول «موسوعة ستروغ الشاملة»، «للدلالة على القرابة المباشرة أو المجازية.»
وقد استخدمت كلمة ابن للإشارة إلى يسوع أربعة استخدامات مختلفة على الأقل: ابن مريم، ابن داود، ابن الإنسان، ابن الله. تصف هذه التعابير الأربعة علاقة يسوع الطبيعية مع الآب والجنس البشري.
ابن مريم. كان ليسوع، حسب طبيعته البشرية، أم فقط بلا أب، وهي مريم. ويسوع الناصري بهذا المعنى هو ابن أو ولد حرفياً وجسدياً.
ابن داود. يستخدم الكتاب المقدس في هذه الحالة كلمة ابن (هيويوس)، وينظر إلى تعبير ابن داود عادةً على أنه مجازي، لأن يسوع ليس ابناً مباشراً لداود (انظر متى ٢٢:٤٢-٤٥). غير أن ذلك يمكن أن يعني أيضاً أن يسوع كان من ذرية داود، وأنه وريث له.
ابن الإنسان. إن تعبير ابن الإنسان تعبير يهودي مميز، وقد استخدم أولاً في العهد القديم. استخدم العهد القديم كلمتين للدلالة على الإنسان - آدم و نوس (نوس: هي كلمة عبرية تعني الناس) - بشكل عام، أي للجنس البشري. يمكن لأي فرد أن يدعى ابن الإنسان. فقد أشير للنبي حزقيال، مثلاً، تسعين مرة كابن الإنسان. وبدأت هذه العبارة تأخذ أبعاداً مسيّانية (أي متعلقة بالمسيح المنتظر) في (دانيال ١٣:٧،١٤).
أما في العهد الجديد، فقد قُصِرَ استخدام هذا التعبير على يسوع، إلاّ في (عبرانيين ٦:٢-٨) حيث استخدم للدلالة على الجنس البشري بشكل عام.

فبينما استخدمها العهد القديم بشكل عام، استخدمها يسوع بطريقة مجازية قائلاً بأنه «ابن الإنسان» الوحيد. ولم يستخدم هذا التعبير إلا ثلاث مرات خارج الأناجيل (أعمال ٧:٥٦؛ رؤيا ١:١٣؛ ١٤:١٤). وهو يستخدم اثنين وثلاثين مرة في متى، وخمس عشرة مرة في مرقس، وعشرين مرة في لوقا، واثنتي عشرة مرة في يوحنا. وقد جاء هذا الاستخدام في كل مرة على فم يسوع نفسه (باستثناء يوحنا ١٢:٣٤ عندما سأله أحدهم عما قصده بلقب ابن الإنسان).

يظهر الاستخدام المتكرر لهذا التعبير في كل مرحلة من مراحل حياة المسيح: خدمته العامة، ومعاناته، وآلامه، وتمجّده مستقبلاً. وقد استمر يسوع عبر الأناجيل الأربعة يعطي معنى كاملاً بشكل تدريجي لهذا اللقب.

يبدو أنّ استخدام يسوع لهذا اللقب يسير في خطين يقدّمان فكرتين: أولاً: يكشف لنا استخدام تعبير ابن الإنسان شخصاً إلهياً. فقد استخدمه يسوع لإظهار سلطانه على مغفرة الخطايا (متى ٩:٦؛ مرقس ٢:١٠؛ لوقا ٥:٢٤)، وكونه رب السبت (متى ١٢:٨؛ مرقس ٢:٢٨؛ لوقا ٦:٥). والتنبير هنا هو على سلطان المسيح. (لدينا إشارة واضحة إلى أن يسوع افترض أن له سلطاناً لا يملكه إلا الله وحده. ويمكننا أن نرى أيضاً التنبير على البعد الإلهي في استخدام يسوع لهذا التعبير بالنسبة لتمجّده مستقبلاً).

ثانياً: يكشف لنا استخدام تعبير ابن الإنسان شخصاً بشرياً. ومما لا شك فيه أن استخدام يسوع لهذا اللقب يشير إلى إنسانيته وألوهيته معاً. ونحن نرى ذلك بطريقتين هامتين في الأناجيل الأربعة: أولاً، يستخدم هذا اللقب للمسيح وهو منشغل بما يمكن أن يسمى عمله اليومي (متى ١١:١٩). ثانياً، يستخدم هذا اللقب للمسيح فيما يختص بآلامه وموته (مرقس٨:٣١). إن فكرة كون المسيح إنساناً تؤذن بحقيقة أنه لا بد أن يموت في نهاية الأمر. وهذا مفهوم وجد اليهود صعوبة في تصديق انطباقه على مسيحهم المنتظر. ثالثاً: لم يقدّم يسوع نفسه كابن الإنسان

الذي لا بد له أن يتألم ويموت فحسب، ولكنه قدّم نفسه أيضاً على أنه ذاك الذي سيعود للمجد (متى ٢٤:٣٠؛ مرقس ١٤:٦٢؛ لوقا ١٧:٢٢؛ ١٨:٨؛ ٢٢:٦٩؛ الخ).

عندما حوكم يسوع أمام السنهدريم اليهودي ورئيس الكهنة، قيافا، قدّم نفسه على أنه «ابن الإنسان» المشار إليه في دانيال ١٤،٧:١٣:

«كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحُبِ السماء مِثلُ ابنِ إنسانٍ أتى وجاء إلى القديمِ الأيامِ فقرَّبوهُ قدامهُ. فأُعطيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد لهُ كل الشعوبِ والأممِ والألسنةِ. سُلطانُهُ سلطانٌ أبدي ما لن يزولَ وملكوته ما لا ينقرض.»

سأل قيافا يسوع، «أنت المسيح ابن المبارك (الله)؟ فقال يسوع، أنا هو؛ وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء» (مرقس ١٤:٦١-٦٢). لقد قدّم يسوع بتصريحه هذا تأكيداً قوياً حول مجيئه ثانيةً بمجد عظيم ليدين الأرض ويحكمها. ومن الجدير بالملاحظة أنّ هناك دلالة خاصة لقبول يسوع لقبي «ابن المبارك» و«ابن الإنسان» معاً في لقائه مع قيافا (قارن يوحنا ٣:١٥-١٧).

يشرح جليسون أرتشر سبب ضرورة تمتع المسيح المنتظر بالطبيعتين الإنسانية والإلهية:

«يثير هذا الأمر سؤالاً حول أهمية دلالة لقب «ابن الإنسان.» لماذا قدم المسيح ككائن بشري ممجد بدلاً عن أن يقدم كملك المجد الإلهي؟ والجواب موجود في ضرورة التجسد التي لا غنى عنها من أجل فداء الإنسان. لم يكن ممكناً أن يكفر عن خطايا الجنس الآدمي الساقط الخاطئ إلاّ حامل خطايا يمثل البشر ككائن بشري حقيقي مثلهم بتضحيته بحياته من أجلهم. والتعبير الذي يستخدمه العهد القديم للفادي هو «جو إل»

الذي يتضمن معنى «الفادي القريب.» وهكذا كان لابد أن تربطه قرابة دم بالشخص الذي تبنى قضيته وسدد حاجته، مهما كانت هذه القضية أو الحاجة، سواء كانت افتداءه من الرق أو العبودية (لاويين ٢٥:٤٨) أو تحرير ممتلكاته المرهونة (لاويين ٢٥:٢٥)، أو الاعتناء بأرملته التي لم ترزق ذرية (راعوث ١٣:٣)، أو الانتقام من قاتله (عدد ١٩:٣٥).

أعلن الله نفسه لإسرائيل كـ«جو إل» للشعب الذي قطع عهداً معهم (خروج ٦:٦؛ ١٣:١٥؛ إشعياء ١:٤٣؛ مزمور ١٤:١٩)؛ لكن قبل أن يصبح الله إنساناً من خلال معجزة التجسد والميلاد العذراوي، كان أمراً غامضاً على شعب الله القديم كيف يمكن أن يتأهل الله ليكون «جو إل» لهم، أي فادياً قريباً لهم من نفس جنسهم. صحيح أن الله كان لهم أباً بالخلق، لكن «جو إل» تشير إلى علاقة دم على مستوى مادي جسدي. وهكذا كان لا بد أن يصبح الله إنساناً مثلنا حتى يفدينا من الخطية وعقابها. «والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً» (يوحنا ١٤:١).

لم يكن بإمكان الله أن يغفر لنا خطايانا ما لم يُدفع ثمنها كاملاً؛ وإلاّ لكان متواطئاً مع كل خرق وانتهاك لشريعته المقدّسة وحامياً له. ولم يكن بإمكان الله إيجاد كفارة كافية عن خطايا الجنس البشري إلاّ كإنسان، وهذا ما صاره الله في المسيح. لأنه لا يمكن إلاّ لإنسان حقيقي أن يمثل الجنس البشري تمثيلاً صحيحاً. لكن كان لابد لفادينا أن يكون الله، لأنّ وحده هو الذي يقدر أن يقدّم ذبيحة ذات قيمة لا متناهية، للتعويض عن عقاب الهلاك الأبدي في الجحيم، ذلك العقاب الذي تتطلبه خطايانا حسب مطالب العدالة الإلهية المقدسة. لم يكن في مقدور أحد غير الله أن يجد طريقة تمكنه من الحفاظ على عدالته في نفس الوقت الذي يصبح فيه مبرّراً (مُعطياً البر والقبول) للخطاة الفجار (رومية ٥:٤) بدلاً من أن يرسلهم إلى الهلاك الأبدي الذي يستحقونه . . لأنّ هذا الإنسان الكامل هو أيضاً الله اللامتناهي الذي قدّم ذبيحة فعليّة فعّالة لكل

المؤمنين عبر العصور.

يأخذ تعبير «ابن الإنسان» أكمل أبعاده عندما يأخذ المرء في اعتباره الإشارة إلى (دانيال ٧:١٣). فهذا اللقب وبدون أدنى شك مسيّاني (مرتبط بالمسيح المنتظر)، وقد صرح المسيح بأنه هو الشخص المشار إليه في (دانيال ٧:١٣). ويبدو أن اليهود فهموا أنّ هذا هو لقب المسيح المنتظر، لكنهم لم يقبلوا التوكيدين اللذين أضافهما يسوع إلى مفهومهم عن المسيح المنتظر؛ أولاً: رأى اليهود في النبوءات القديمة مسيحاً منتصراً، لا مسيحاً متألماً، وكان توكيدهم ينصبّ على منقذ سياسي لا روحي. غير أنّ يسوع صوّر ابن الإنسان على أساس أنه مسيح متألم، مسيح لا بد أن يأتي ليموت. ثانياً: لم ينظر قادة اليهود إلى المسيّا المنتظر على أنه الله المتجسد. فادّعاء أحدهم بأنه المسيح المنتظر شيء، وادعاؤه بأنه مسيح ذو طبيعة إلهية شيء مختلف تماماً.

وتلخيصاً لما سبق نقول إنّ «ابن الإنسان» الذي كان لقباً غامضاً بالنسبة لمعاصري يسوع، كان محمّلاً ثرياً بالمعاني والمضامين التي تبصّر الناس بطبيعة المسيح كالفادي القريب والخادم المتألم والديّان القادم وحاكم العالم.

ابن الله

نأتي الآن إلى تعبير «ابن الله.» فكيف يمكننا أن نفهمه؟ إنّ كون يسوع المسيح هو ابن الله، الأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس، أمر جوهري لعقيدة التجسد. إنّ ابن الله في الكتاب المقدس هو يسوع وليس الآب أو الروح القدس. فالآب لم يتجسد. والروح القدس لم يصبح إنساناً أيضاً. لكن الابن هو الذي تجسد. يتساءل بعض الناس حول كلمة «ابن» ويفسرونها، حيثما تظهر، بالمعنى الحرفي، كابن يولد من أب وأم. وحسب هذا التصور، فإنه لا يمكن أن يكون يسوع هو الله لأنه كان ابن الله بالمعنى الحرفي. ويقول بعضهم محاولين استغلال فكرة أن يسوع ابن «هل سمعت مرة أن هناك ابناً لم تكن له بداية؟» وهم يحاولون بهذا المقارنة بين الابن «المخلوق» مع «الآب غير المخلوق.» لكن يمكن، بطبيعة الحال، قلب السؤال، «هل سمعت مرة أن هناك أباً لم تكن له بداية؟» يمكن استخدام «ابن (هيويوس) الله» للدلالة على لاهوت المسيح الكامل، تماماً كما رأينا أنّ تعبير «ابن الإنسان» يشير إلى إنسانيته الكاملة (ولاهوته أيضاً).

ابن الإنسان = إنسانية كاملة (ولاهوت كامل).
ابن الله = لاهوت كامل.

يقول و.جي.تي.شيد، «تدل هذه التسمية «الابن»، المعطاة للأقنوم الثاني، على علاقة ملازمة متأصلة جوهرية أبدية.» يحاول شيد أن يقول إنه إذا كان الآب أبدياً، فإنّ الابن كذلك. وكما أوضح شولتز، «لا تدل بنوة المسيح وأبوّة الأقنوم الأول على نقص في الجوهر أو المركز.»
ويوضح بويتنر نقطة هامة:

«لقد أوضحنا في تناولنا السابق لعقيدة الثالوث أنّ تعبيري «الآب» و «الابن» لا يحملان في اللغة اللاهوتية أفكارنا الغربية عن مصدر كينونة وتفوق من ناحية، والخضوع والاعتماد من ناحية أخرى، ولكنهما يحملان الأفكار السامية والشرقية عن المشابهة وتماثل الطبيعة والمساواة في الكينونة. وبطبيعة الحال، فإن التعابير المستخدمة في الكتاب المقدّس تعابير سامية تفترض وعي الشعوب السامية لمدلولاتها، فحينما يدعو الكتاب المقدس المسيح «ابن الله،» فإنه يؤكد على لاهوته الحقيقي الصحيح. إذ تشير هذه التسمية إلى علاقة فريدة لا يمكن أن تعزى إلى مخلوق أو يشترك فيها شخص فانٍ. فكما أنّ أي ابن بشري يشبه أباه في طبيعته الجوهرية، التي هي إنسانيته، كذلك يشبه المسيح، ابن الله، أباه في طبيعته الجوهرية التي هي اللاهوت، أو الطبيعة الإلهية.»

ويسهب شولتز فيقول:

«على الرغم من أنّ الكتاب المقدس يطلق على أشخاص آخرين لقب «أبناء الله،» مثل، الملائكة، آدم، حزقيال، والمؤمنين بالمسيح، فإن المسيح هو «الابن» بمعنى فريد مقصور عليه دون غيره. يلاحظ جريفيث توماس بأنّ لقب «ابن الله» موجود في أشكال مختلفة في اللغة اليونانية - فقد يستخدم أحياناً بأل تعريف تسبق كلاًّ من الكلمتين «الابن الله» ويستخدم أحياناً بحذف أل التعريف من الكلمتين «ابن إله.» والصيغة الأولى، على الأقل، هي لقب ألوهية، وهي مستخدمة خمساً وعشرين مرة في العهد الجديد عن المسيح. ولقد فهم اليهود من اتخاذ يسوع لهذا اللقب ما يحاول المسيح أن يقوله عن نفسه، فأدانوه بسبب المعاني المتضمنة فيه (متّى ٢٦:٦٣؛ لوقا ٢٢:٧٠؛ يوحنا ١٩:٧). لم يكن يسوع يقصد فقط أنه المسيح ولكنه قصد أيضاً أنه الله. لم يصنّف الرب يسوع المسيح بنوته لله مع بنوة الآخرين له. فقد تحدّث عن هذا الموضوع

بتفصيل حتى يُبقي كلاًّ من البنوّتين مميزاً ومنفصلاً (يوحنا ٢٠:١٧). ومن الواضح أنّ التلاميذ فهموا أنّ المسيح كابن الله هو الله الأبدي.»

يتضح لنا أن الاستخدامات المختلفة للقب «ابن الله» تشير إلى حقيقة التجسد، أي أن الله أصبح إنساناً. فإذا كان تعبير «ابن الإنسان» يعني أن المسيح إنسان، فإن تعبير «ابن الله» يعني أنه الله.

الفصل السادس

لدينا شهادة الكنيسة الأولى

شهادة الكنيسة المسيحية الأولى واضحة في دعم ألوهية المسيح. ولقد أثبتت كتابات آباء الكنيسة والمدافعين عن الإيمان المسيحي، وهي مترجمه ومتوفرة لدينا اليوم، إيمانهم بهذه العقيدة التي تسمو على كل عقيدة غيرها.

أشار آباء الكنيسة في كتاباتهم إلى المسيح على أنه «سرمدي» و «الله المتجسد» و«الخالق» وأنه يملك صفات سرمدية أخرى مقصورة على الله وحده. فيما يلي مقتطفات من بعض كتاباتهم:

بوليكارب (٦٩-١٥٥م)، مطران كنيسة سميرنا، وتلميذ الرسول يوحنا. كتب: «أصلّي أن يبنيكم إله وأبو ربنا يسوع المسيح رئيس الكهنة السرمدي نفسه، الله يسوع المسيح في الإيمان . . .»

اغناطيوس (توفي عام ١١٠م)، رئيس كنيسة انطاكيا، كان معاصراً لبوليكارب وكليمنت وبرنابا، واستشهد في إحدى مسارح المدرجات الرومانية. يقول في رسالته إلى المؤمنين في مدينة أفسس كتب عن المسيح على أنه «إلهنا يسوع المسيح.»

وفي رسالة أخرى حثّ اغناطيوس بوليكارب على أن «ينتظر ذاك الذي هو فوق كل زمان، السرمدي غير المنظور، الذي صار منظور من أجلنا. الذي تألم من أجلنا.»

وأضاف قائلاً في رسالته إلى مؤمني مدينة سميرنا أنه « ... إذا كانوا لا يؤمنون بدم المسيح، (الذي هو الله)، فإن الدينونة تنتظرهم أيضاً.»

وفيما يلي مقتطفات من ترجمة كيرسوب ليك للآباء الرسولين:

رسالة اغناطيوس إلى أهل أفسس، تحيات - « ... يسوع المسيح إلهنا»
رسالة اغناطيوس إلى أهل أفسس i.١ - «... بدم الله ...»
رسالة اغناطيوس إلى أهل أفسس vii.٢ -»...الذي هو الله في الإنسان»
رسالة اغناطيوس إلى أهل أفسس xvii.٢- «... تلقى معرفة الله، أي يسوع المسيح ...»
رسالة اغناطيوس إلى أهل أفسس xix.٣ - «... لأنّ الله ظهر كإنسان »
رسالة اغناطيوس إلى أهل مدينة ماغنيسيا xi.١ -»... المسيح الذي كان من الأزل مع الآب.»
رسالة اغناطيوس إلى أهل مدينة تراليا vii.١ -» ... من الله، من يسوع المسيح ...»
رسالة اغناطيوس إلى أهل روما، تحيات - «يسوع المسيح، إلهنا» (مرتين).
رسالة اغناطيوس إلى أهل روما iii.٣ - «... إلهنا، يسوع المسيح.»
رسالة اغناطيوس إلى لأهل روما vi.٣ -»... يسمح لي أن اتبع مثال آلام الهي.»
رسالة اغناطيوس إلى أهل سميرنا i.١ -»يسوع المسيح، الله.»
رسالة اغناطيوس لبوليكارب viii.٣ - «... إلهنا يسوع المسيح.»
الرسول برنابا vii.٢ -»أبن الله، مع أنه كان الرب ...»
يقول الباحث والمؤلف جون ويلدون «... إنّ حقيقة عدم تعرض اغناطيوس للتوبيخ أو اتهامه بالهرطقة من قبل أي شخص أو الكنائس التي أرسل إليها رسائله تبيّن أنّ الكنيسة الأولى، قبل وقت طويل من عام ١١٥م، كانت مجمعة على قبول لاهوت المسيح.»
ايرينيوس (١٢٥-٢٠٠م)، أحد تلاميذ بوليكارب، شرح في مؤلفه ضد الهرطقات (٤:١٠) كيف أنّ موسى رأى المسيح مرات كثيرة، وأنّ المسيح هو الذي كلّم موسى من العليقة. تحدث ايرينيوس عن علاقة المسيح بالله الآب: «فقد كان دائماً حاضراً معه كلمة الحكمة، الابن والروح، الذي بواسطته وبه، بحرية وتلقائية، خلق كل الأشياء، الذي يقول له أيضاً،

نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا.»

الشهيد جوستين (١١٠-١٦٦م)، أحد المدافعين عن الإيمان بأسلوب العلماء والباحثين، قال، «لقد قلت وأعدت، مراراً كافيه، أنه عندما يقول إلهي، 'صعد الله من عند إبراهيم،' أو 'كلّم الرب موسى،' و'فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما،' أو 'وأغلق الرب على نوح في الفلك،' فإنّ عليك ألاّ تتصور بأن الله غير المولود نزل أو صعد إلى أي مكان. لأنّ الآب تعالى ورب الكل لا يأتي إلى مكان، أو يمشي، أو ينام، أو يصحو.» لم يرَ إبراهيم واسحق ويعقوب الرب الذي يتعالى عن كل وصف، وإنما «ابن الله» الذي كان أيضاً ناراً عندما تحدث مع موسى من العليقة. وأضاف: «لقد تحدث مسيحنا مع موسى من تحت النار التي ظهرت في العليقة.» فالذي كلّم موسى لم يكن هو أبا الكون؛ وإنما «يسوع المسيح،» «ملاك الله والرسول،» «والذي هو أيضا الله،» نعم «إله إبراهيم واسحق ويعقوب وأهية الذي أهية.»

كليمنت (توفي عام١٠١م)، أسقف روما، استشهد بقول من (زكريا ٥:١٤) مطبقاً إياه على ربنا يسوع المسيح، «ويأتي الرب إلهي وجميع القديسين معه»؛ ويطبّق عليه أيضاً عددين من ملاخي ١١:١،١٤، يشيران إلى يهوه. ويتحدث عن «ربنا يسوع المسيح صولجان جلال الله،» والسيد الذي يأتي بغتة إلى هيكله؛ ولقد تكلّم الله في العهد القديم من خلال الروح القدس.

هذه مقتطفات قليلة جداً من بين كتابات كثيرة من كتابات الآباء التي كان يمكننا إيرادها للاستشهاد بها.

وإذا حدث أن ادعى أحد بان هذه الوثائق مزيفة، فإن عليه أن يقدم البرهان على ذلك، فالبَيِّنة على من ادّعى. إذ يجب عليه أن يدعم اتهاماته ويقدم كتابات تاريخية موثوقة من الكنيسة الأولى تقول بأنّ المسيح ليس الله.

إذ لم يتوصل أحد بعد مئات السنين من البحث والاستقصاء إلى وجود شخص قال بهذا قبل آريوس (بداية القرن الرابع).

ثانياً، بالنسبة لموضوع إمكانية العبث بالكتاب المقدس، وإضافة عقائد هامة فيما بعد، فإنه يمكن إعادة كتابة العهد الجديد كما هو موجود اليوم، باستثناء أحد عشرة عدداً من الاستشهاد بكتابات آباء الكنيسة الأوائل قبل عام ٣٢٥م، ناهيك عن آلاف المخطوطات الكاملة أو الجزئية للعهد الجديد التي نملكها باللغتين اليونانية واللاتينية. إنّ الكتاب المقدس كما هو موجود بين أيدينا اليوم هو أكثر وثيقة تاريخية قديمة أدبية موثوقة في العالم. وإن حذفنا كل الأعداد التي تعلّم لاهوت المسيح، فسيغدو العهد الجديد صورة زائفة بالية تكذّب كل الحقائق التاريخية.

إنّ أول حادثة مسجّلة لشخص مسيحي، ينكر لاهوت المسيح وقعت عام ١٩٠م، عندما أشار بائع جلود بيزنطي اسمه ثيودوتس إلى إنكاره للمسيح بقوله،«لم أنكر الله ولكن إنساناً...» ولم تصبح مسألة لاهوت المسيح قضية لاهوتية كبيرة ضمن الكنيسة إلاّ في (٣١٨-٣٢٠م)، عندما قام كاهن من الإسكندرية يدعى آريوس بانكار ألوهية المسيح. والضجة التي أحدثتها هذه القضية دليل قوي على أنّ الكنيسة، حتى ذلك الوقت، لم تكن تشك في لاهوت المسيح. وإلاّ لتمّ تجاهل تعليم آريوس على أساس أنه أمر عادي. لقد صيغت العقائد التي كان يؤمن بها المؤمنون أثناء هذا الجدل، بما في ذلك إيمانهم بأنّ المسيح هو الله، خلال قرنين ونصف من الاضطهاد القاسي. وقد دعي مجمع نيقيه (عام ٣٢٥م) للاجتماع لإيجاد حل اكليركي (كنسي) لهذه المسألة. وبعد ثلاثة أشهر من التفكير المتروي المجهد، أكد المجمع ألوهية المسيح. وتمّ طرد آريوس والكاهنين الآخرين اللذين ناصراه على أساس أنهم هراطقة.

يقول بعضهم إنّ قسطنطين فرض الموقف الأرثوذكسي على المجتمعين في مجمع نيقية، وإنّ المسيحيين خضعوا لرغباته خوفاً من سطوته. لكن هذا غير صحيح. فالحقيقة هي أنهم هم الذين أثروا فيه وحملوه

على تغيير رأيه في الإيمان المسيحي. إذ تحدثنا السجلات التاريخية بأن قسطنطين حين رأى جراح المؤمنين وندبهم وأثار التعذيب الذين تعرضوا له بسبب إيمانهم بالمسيح، عمد إلى تقبيل تلك الجروح وآثارها. وما كان لهؤلاء المؤمنين الذين فقد معظمهم عيونهم وأطرافهم من أجل إيمانهم، ليخضعوا لأي ضغط شرير من قسطنطين.

آمن آريوس وأتباعه بوجود المسيح السابق لولادته، وبأنه هو الذي خلق العالم. فلم تكن القضية المطروحة في مجمع نيقية هي ما إذا كان يسوع «إنساناً» فقط، وإنما كانت «هل المسيح هو الله أم مجرد 'إله'؟»

وعلى الرغم من طرد آريوس، فقد تمكن من التأثير على كثير من أعضاء الكنيسة في فترات متقطعة لسنوات كثيرة بعد مجمع نيقيه. وقد تعرض أثناسيوس زعيم الموقف الأرثوذكسي أثناء هذه الفترة، والذي أصبح فيما بعد أسقف الإسكندرية، للنفي خمس مرات من جماعة آريوس. ولم يتم إخراس هذه المعارضة بشكل نهائي إلاّ عام ٣٨١م في مجمع القسطنطينية.

ولا زال قانون الإيمان النيقوي الذي تمت صياغته وسط الاضطراب والجدل، حجراً أساسياً لاهوتياً للكنيسة.

يقول مارك نول عن قانون الإيمان النيقوي:

«قام الإمبراطور قسطنطين العظيم عام ٣٢٥ باستدعاء قادة الكنيسة إلى بلدة صغيرة عبر بحر مرمرة من عاصمته القسطنطينية (اسطنبول حالياً). فقد انزعج للانشقاق الديني الذي يمكن أن يهدد وحدة إمبراطوريته. انصبّ الجدل على تعاليم أحد المسؤولين الثانويين في الكنيسة الإسكندرية في مصر. وكانت النتيجة أن قدّم لنا هؤلاء الأساقفة الذين اجتمعوا في نيقية للحكم على تعاليم ذلك الكاهن قانوناً للإيمان المسيحي جديراً بالتذكر.

ولم يكن هذا الإقرار الإيماني، الذي تمّ توسيعه فيما بعد، أول تعريف

رسمي للثالوث الأقدس في مواجهة التعليم الهرطوقي فحسب، ولكنه كان أيضاً أول قانون يحوز على إجماع كامل في الكنيسة. (وهي ما زالت مستخدمة اليوم في اجتماعات العبادة في الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية واللوثرية والأسقفية وباقي الكنائس البروتستانتية الإنجيلية). وتكمن أهمية هذا القانون في شهادته القوية التي لا يشوبها غموض حول طبيعة يسوع الفريدة كمخلّص العالم.

توضح العقائد التي علّمها آريوس الميل الموجود عبر التاريخ المسيحي لإخضاع حقائق إعلان الله عن نفسه من خلال الكتاب المقدس وفي المسيح لتصورات «المنطق» الجارية. قال آريوس «إذا كان الله الآب مطلق الكمال، ومطلق السمو، ومطلق الثبات، وإذا كان منشئ كل الأشياء دون أن يكون ذاته صادراً عن أي شيء آخر فإنه من الواضح أنّ كل شيء وكل شخص آخر في العالم منفصل عن الله.» ويضيف آريوس «إذا كان كل شيء منفصلاً عن الله، فلا بد إذاً أن يكون يسوع أيضاً منفصلاً عن الله.»

يقول آريوس إنّ يسوع المسيح لعب دوراً مميزاً في خلق العالم المادي وفدائه، ولكنه ليس الله ذاته. فلا يمكن إلاّ أن يكون هناك إله واحد، ولهذا فلا بد أن يكون المسيح قد خلق في زمن ما. ولا بد أن يكون المسيح (ككل الخليقة) معرضاً للتغير والخطيئة، وأنه (مثل كل الكائنات المخلوقة) لا يملك معرفة حقيقة لفكر الله.

أدرك مجلس نيقية مدى خطورة التهديد الذي يشكله تعليم آريوس للإيمان المسيحي، كما أدركوا أيضاً شأن طبقة المنطق الخفيفة الخادعة التي يمكن أن تظهر هذا المنطق مقبولاً. ولهذا عمد المجلس إلى صياغة التوكيدات التالية ضد فكر آريوس:

١. المسيح إله من إله (حرفياً ذات الله من ذات الله). كان يسوع نفسه هو الله بنفس المعنى الذي كان فيه الآب الله، وإنّ أي تمييز بين الآب والابن يجب أن يشير إلى الوظيفة الخاصة التي يقوم بها كل أقنوم منهما

أو حسب العلاقة التي تربط كلاً منهما بالآخر- لكن الآب والابن والروح القدس هم كلهم الله حقاً.

٢. المسيح مساوٍ للآب في الجوهر (حرفياً يشارك الآب نفس جوهره). والكلمة المستخدمة المترجمة نفس الجوهر هي هومو أو سيوس (هومو=نفس، اوسيوس=جوهر)، أثارت جدلاً كبيراً لكنها اختيرت كوسيلة لتعزيز حقيقة أنّ المسيح «مساوٍ للآب في الجوهر» بشكل واضح لا لبس فيه. فقد كان المقصود منها تلخيص تعليم المسيح نفسه «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠:٣٠).

٣. يسوع مولود غير مخلوق. أي أنّ المسيح لم يخلق في أية مرحلة من الزمان، لكنه كان ابن الله منذ الأزل.

٤. تجسد المسيح من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا. لقد كان عمل المسيح موجهاً لخلاص البشر، خلاصاً لم يكن ممكناً تحقيقه لو كان المسيح نفسه مجرد مخلوق. يوضح الكتاب المقدس بشكل حاد وبدون اعتذار أنّ الجنس البشري خاطئ وبأن العالم مخلوق كله وعاجز عن دفع نفسه إلى السماء بقوته الذاتية. فالخلاص من الله.

واجه إقرار الإيمان النيقوي معارضة كثيرة. فقد رفض كثير من الأريوسيين هجر عقائدهم حتى عند مواجهتهم ببيان الإيمان العقائدي النيقوي الذي يترجم الحق الكتابي. وقد أزعج استخدام كلمات لم تستخدم في الكتاب المقدس (مثل هومو أو سيوس) مؤمنين كثيرين كما أزعجتهم وجود كلمات مثل «جوهر» تستخدم غالباً بشكل غامض. لكن عندما أوضح أثناسيوس وغيره من المعارضين للآريوسيين بأن الجوهر الواحد أو المساواة في الجوهر لا تنكر الوجود المستقل للآب لكل من أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس والعمل المستقل لكل منهم، بدأ قانون الإيمان يكتسب قبولاً بشكل تدريجي.

وما زال مرسوم الإيمان النيقوي حتى يومنا هذا حاجزاً واقياً ضد هذا النوع من التخمين اللاهوتي الذي يمجد حكمة الإنسان فوق إعلان الله عن

يسوع المسيح. وهو بمثابة قطارة واضحة لتعليم الكتاب المقدس حول طبيعة المسيح الإلهية، وتجسده كإنسان، وعمل الخلاص الذي أنجزه من أجل البشر. وأخيراً عندما يستخدم هذا البيان العقائدي كدليل للعبادة المسيحية أو الكرازة المسيحية، فإنه يمكن أن يصبح أيضاً أداة يستطيع الروح القدس من خلالها أن يحوّل حقائق الإيمان المسيحي إلى واقع الحياة المسيحية.»

قانون الإيمان النيقوي

نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، وكل ما يرى وما لا يرى.

وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء، وصار إنساناً وصلب عنا على يد بيلاطس البنطي، تألم ومات ودفن، وقام في اليوم الثالث حسب الكتب، وصعد إلى السماء. وهو جالس عن يمين الآب وسيأتي أيضاً بمجدٍ عظيم ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه.

و(نؤمن) بالروح القدس الرب المحيي، المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد، الناطق بالأنبياء والرسل، وبكنيسة واحدة مقدّسة جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وننتظر قيامة الأموات والحياة الأخرى. آمين. (أضيفت الفقرة الثانية في عام ٣٨١ م).

تقول مقالة بعنوان «لاهوت المسيح» في موسوعة زوندرفان لتفسير الكتاب المقدس:

«إنّ أوضح تعبير وأكمله عن لاهوت المسيح موجود في القانون النيقوي الذي تمت صياغته أصلاً في مجمع نيقية عام ٣٢٥. نقرأ فيه «رب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله من إله، مولود غير مخلوق.» نجد هنا كل جهد ممكن لتوضيح أنّ يسوع يتمتع بنفس جوهر الله «إله من إله.» وترتبط بكلمة «لاهوت» كلمة أخرى أكثر عمومية ألا وهي «ألوهية» و«لاهوت» هي أقوى الكلمتين، وهي الكلمة المطلقة. إذ يمكن أن يقال بأنّ هناك قبساً من الألوهية في كل إنسان؛ لكن لا يمكن أن يقال نفس الشيء عن اللاهوت.»

لم يصرح بمثل هذه الأمور عن نفسه إلاّ يسوع المسيح. فتصريحاته عن نفسه تتضمن فكرة بأنّ ما يعلّمه هو ما يعلّمه الله نفسه، وإنّ ما عمله لا يمكن أن يقوم به إلاّ الله وحده، وإنّ هناك في شخصيته الكاملة وحدة مطلقة مع الله. وان توكيده لنفسه على أي نحو كان هو توكيد لله. لا بد أن يكون أي شخص يدّعي لنفسه ما ادّعاه يسوع إما شخصاً مجنوناً منحرفاً أو صادقاً في ما ذهب إليه. وبما أنّ الاحتمال الأول لا يمكن أن تقوم له قائمة في ضوء الأدلة الأخرى المتوفرة، فإن المرء مجبر على الخيار الثاني هو الصحيح ألا وهو أنّ المسيح هو «إله من إله» كما صرح عن نفسه.»

وعُقِدَ لاحقاً مجمع خلقيدونية عام ٤٥١. وقد تم في هذا المجمع وضع وصف رسمي دقيق للعقيدة الكتابية بأنّ يسوع المسيح أقنوم إلهي واحد ذو طبيعتين. من المهم أن ندرك أنّ هذه المجامع التي عقدها المؤمنون لم تكن لتكريس مواقف لاهوتية برزت لتوها، لكنها عُقِدت للرد على مواقف الذين عارضوا الموقف الكتابي الأرثوذكسي (التقليدي السليم) الذي سبق أن آمنوا بصحته.

وعلينا أن نتذكر أنه مع توسع الكنيسة في تلك الأيام، لم تكن هناك وسائل إعلام إلكترونية أو وسائط نقل جوية لنشر المعلومات أو لضمان التعليم الدقيق. فقد اعتمد الناس على أشخاص أتقياء في إيصال المعلومات، أشخاص يستخرجون الكلمة بدقة وفاعلية. وقد ساهمت المجامع الكنسية كأساس لتلك العملية التي سهّلها وجود ممثلين عن التجمعات الرئيسية للمؤمنين في الإمبراطورية. وهكذا فإن الذي يشهد للاهوت المسيح ليس الكتاب المقدس وحده، ولكن تاريخ الكنيسة أيضاً.

الفصل السابع

ما هي بعض الاعتراضات على ألوهية المسيح؟

يقدّم بعض الناس اليوم عدداً من الاعتراضات الشائعة حول مسألة لاهوت المسيح، أو بالأحرى يعانون من صعوبات عقلية في فهمها. وسنناقش باختصار في هذا الفصل بعضاً من هذه الاعتراضات أو الصعوبات، وخاصة تلك التي تبرز من بين أشخاص مطّلعين على تصريحات ومصطلحات كتابية.

«أبي أعظم مني»

قال يسوع، «... أبي أعظم مني» (يوحنا ١٤:٢٨). قد يقول بعضهم، «لا بد أنّ ذلك يثبت أنّ مركز يسوع هو نوعاً ما أقل من مركز الله.» وهذه هي إحدى الصعوبات التي تثار.

إنه لأمر صحيح أنّ يسوع، في دوره كعبد أثناء وجوده على الأرض، احتل منزلة أقل من الله. غير أن هذه المنزلة لا تنفي طبيعته الإلهية. ففي ذلك الأصحاح قال يسوع لفليبس، «الذي رآني فقد رأى الآب. فكيف تقول أرنا الآب؟» (يوحنا ١٤:٨-٩). يوضح هذا التصريح أنّ يسوع والآب واحد في الطبيعة. وإنّ رؤيتنا لواحد منهما تعني رؤيتنا للآخر (قارن يوحنا ٤٥,١٢:٤٤). ولهذا فإنّ كلمات يسوع بأنّ الآب أعظم منه تشير إلى مركزه المؤقت لا إلى كينونته ووجوده.

نستشهد فيما يلي بما قاله آثر و. بينك في شرحه لإنجيل يوحنا:

«أبي أعظم مني.» هذا هو العدد المفضل لدى الذين يرفضون الإيمان بالثالوث الأقدس، وينكرون لاهوت المسيح المطلق ومساواته الكاملة للآب. كان المخلّص قد أخبر التلاميذ لتوّه أنّ عليهم أن يفرحوا لأنه ذاهب إلى الآب، ثم شرح سبب قوله بتصريحه «لأنّ أبي أعظم مني.» لنضع هذا الأمر نصب أعيننا بشكل واضح، وستختفي كل صعوبة. فكون الآب أعظم من المسيح هو السبب المحدد الذي يوجب على التلاميذ أن يفرحوا لأنّ سيدهم ذاهب إلى الآب. هذا هو الذي يحدد فوراً معنى كلمة «أعظم» المختلف عليها، ويظهر لنا السياق والمعنى الذي استخدمت فيه. لم تكن المقارنة التي أجراها بين الآب وبينه تتعلق بالطبيعة، وإنما بالصفة الرسمية والمركز الرسمي.
لم يتحدث المسيح عن نفسه في كينونته الجوهرية. فالذي لم يتشبث بمساواته لله «لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله» أخذ شكل عبد، وليس هذا فحسب، بل صار في شبه الناس. لقد كان المسيح من هاتين الناحيتين، ناحية وضعه الرسمي كوسيط، وناحية اتخاذه للطبيعة البشرية، أقل منزلة من الآب. يقدّم لنا الرب يسوع في حديثه هذا وفي الصلاة التي تلته في الأصحاح السابع عشر على أنه عبد الآب الذي تلقى منه مأمورية، وعليه أن يقدّم له حساباً عنها، لأنه عمل من أجل مجده وتكلم تحت سلطانه. لكن هناك ناحية أخرى ذات صلة أكثر وثوقاً بالموضوع كان منه الابن أدنى مرتبة من الآب. فعندما تجسد وحلّ (خيّم) بين الناس، وضع نفسه بشكل كبير وذلك باختياره النزول إلى العار والآلام في أشد أشكالها. لقد أصبح الآن ابن الإنسان الذي ليس له مكان يضع عليه رأسه. فالذي كان غنياً افتقر لأجلنا. صار رجل الأوجاع والأحزان ومختبراً الأسى. وفي ضوء هذا أجرى المسيح مقارنة بين وضعه ووضع الآب في مقدسه في السماء. فقد كان الآب جالساً على عرش الجلالة

الفائق السمو، لم يخسف بريق مجده. كان محاطاً بالجند المقدّسين الذين يقدّمون له العبادة والتسبيح باستمرار. أما الأمر بالنسبة للابن المتجسد، فكان مختلفاً جداً - إذ كان محتقراً ومرفوضاً من الناس، محاطاً بأعداء حقودين قساة القلوب، منتظراً أن يسمّر قريباً على صليب المجرمين. بهذا المعنى أيضاً، كان أقل مرتبة من الآب. وبذهابه إلى الآب سيتحسن وضعه إلى درجة هائلة. سيكون ذلك كسباً أو ربحاً لا يمكن التعبير عنه. لقد كانت المقارنة إذاً بين وضعه الحالي المتّسم بالتواضع وحالته الممجدة القادمة لدى الآب. ولهذا فإنّ على الذين يحبونه أن يتهللوا للخبر السار عن ذهابه إلى الآب، لأن الآب أعظم منه، أعظم من حيث وضعه الرسمي ومن حيث الظروف المحيطة. فقد كان المسيح يتحدث عن امتلاكه مكانة كعبد، وتعظيم للآب الذي أرسله.»

الله الآب هو «رأس» المسيح

نجد أنّ نفس علاقة «أعظم وأقل» موضحة في ١كورنثوس ١١:٣. «ولكن أريد أن تعلموا أنّ رأس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرجل، ورأس المسيح هو الله.» نجد في هذا العدد ثلاث مقارنات: الرجل مع المسيح، والرجل مع المرأة، والمسيح مع الله. والمقارنة الثالثةبين المسيح والله هي موضوع المناقشة هنا. قد يقول قائل، «رأس المسيح هو الله... ألا يبدو أنّ ذلك يتحدث عن تفوق؟» علينا أن نلاحظ أنّ المقارنة تتعلق بأنماط سلطة لا عن نقص أو تفوق. لقد تطوّع المسيح فخضع لقيادة الآب أثناء وجوده على الأرض حتى يستطيع أن يتوحد مع الجنس البشري.

خضوع يسوع للآب

هناك عدد آخر يظهر علاقة المسيح مع الآب. وهو أيضاً يثير أسئلة. «ومتى أخضع له (يسوع) الكل، فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل» (كورنثوس ١٥:٢٨). فعل «أخضع» هنا لا يعني عدم مساواة الأشخاص وإنما فَرْقاً في الأدوار. فالخضوع لا يشير إلاّ إلى الوظيفة. ولا تعني الطاعة مستوى أدنى.

لنفكر في الأمر. حتى يكفّر الله عن خطايا الإنسان، كان لابد لأحد ما أن يخضع نفسه للموت. ولكن لا يمكن أن يقوم بذلك إلاّ من كانت له قدرة غير محدودة على التكفير عن الخطية، أي إنسان كامل. كان لابد أن يتوفر لديه قدرة غير محددة على التكفير لأنه سيبذل دمه عن كل البشر. وكان عليه أن يكون كاملاً لأنّ الله لا يقبل إلاّ الذبائح غير المعيبة. ومن يستطيع أن يقوم بذلك؟ الله وحده. وهكذا فقد سفك الله الابن دمه من أجلنا (أعمال ٢٠:٢٨). والطاعة هنا هي الكلمة المفتاح.

«فإذاً كما بخطيّة واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببِرٍ واحدٍ صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة. لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً» (رومية ١٩،٥:١٨).

كان لا بد للمسيح كإنسان كامل أن يكون مطيعاً لله ويحقق خطة الله لفداء البشرية. فخضع طوعاً لتلك الخطة، لله الآب حتى ينقذ البشرية من انفصال أبدي عن الله.

يسوع مولوداً

يقول بعضهم بأنّ تعبير «ابنه الوحيد» وهو أصلاً ابنه المولود الوحيد في يوحنا ١٦:٣ (أيضاً ١٨،١:١٤؛ ١٨:٣) ينفي لاهوت المسيح، لأنه يوحي بأنه مجرد كائن مخلوق كغيره. غير أنّ تعبير المولود الوحيد لا يعني «المخلوق.» فكلمة مولود، كما هي مستخدمة في إنجيل يوحنا، تعني الفريد أو المبارك بشكل خاص أو المفضّل. يوضح سي. إس.لويس معنى «مولود» إيضاحاً وافياً:

«تقول إحدى العقائد بأنّ يسوع المسيح هو ابن الله وأنه 'مولود غير مخلوق'، وتضيف مولود من الآب قبل كل الدهور. أرجو منكم أن تفهموا فهماً واضحاً أنّ هذا الأمر لا علاقة له إطلاقاً بحقيقة ولادة المسيح على الأرض كإنسان وكونه ابناً من عذراء. فنحن لا نتحدث الآن عن الميلاد العذراوي. نحن نتحدث عن شيء حدث قبل أن تخلق الطبيعة نفسها، وقبل بدء الزمان. فالمسيح مولود، غير مخلوق «قبل كل الدهور.» فما الذي يعنيه ذلك؟

كلنا نعرف معنى كلمة «يلد» و «مولود.» فكلمة «يلد» أو «ينجب» تعني أن يصبح الكائن أباً لمن يلده. أما كلمة يخلق فتعني يصنع. والفرق هو ما يلي: فعندما تلد أو تنجب، فإنك تلد شيئاً من نفس نوعك. فالإنسان ينجب أطفالاً بشريين، والأرانب تنجب أرانب صغيرة، والطير يضع بيضاً يتحول إلى طيور صغيرة. لكنك حينما تصنع، فإنك تصنع شيئاً مختلفاً في نوعه عن ذاتك. فالطير يصنع عشاً، والقندس سداً، والإنسان مذياعاً - أو ربما يصنع شيئاً أقرب شبهاً بذاته من المذياع، ولنقل إنّ هذا الشيء هو تمثال. فإذا كان نحاتاً بارعاً، فإنه قد يستطيع أن يصنع تمثالاً قريباً جداً في شبهه من الإنسان. ولكنه بطبيعة الحال لن يكون إنساناً حقيقياً، فهو سيبدو فقط مثل إنسان، ولن يستطيع أن يتنفس أو يفكر، ولن

تكون فيه حياة.

يجب أن يكون هذا واضحاً تماماً في أذهاننا. فما يلده الله هو الله، تماماً كما أنّ ما يلده الإنسان هو إنسان. وما يخلقه الله ليس الله، تماماً كما أن ما يصنعه الإنسان ليس الإنسان. ولهذا فإنّ البشر ليسوا أولاد الله بنفس المعنى الذي به المسيح ابن الله. قد يكونون مثل الله من نواح معينة، لكنهم ليسوا أشياء من نفس النوع. فهم أقرب إلى أن يكونوا تماثيل أو صوراً لله.

للتمثال شكل الإنسان، لكنه ليس حياً. وبنفس الطريقة فإنّ للإنسان (بمعنى سأشرحهُ فيما بعد) شبهاً بالله، لكنه لا يملك نفس الحياة التي يملكها الله. لنأخذ الآن النقطة الأولى (شبه الإنسان بالله) أولاً. إنّ لكل شيء خلقه الله شبهاً به. فالفضاء يشبهه في ضخامته واتساعه: ولا نقصد بذلك أنّ عظمة الله هي نفس عظمة الفضاء، ولكنها نوع من الرمز لها أو ترجمة لها بتعابير غير روحية. والمادة تشبه الله في امتلاكها للطاقة: على الرغم من أنّ الطاقة المادية، بطبيعة الحال، تختلف اختلافاً كاملاً عن قوة الله. والعالم النباتي يشبه الله لأنه حي، والله هو «الإله الحي»، لكن الحياة، بهذا المعنى البيولوجي، ليست نفس الحياة الموجودة في الله: إنها مجرد رمز أو ظل لها. وعندما نأتي إلى الحيوانات، نجد أنواعاً أخرى من الشبه بالإضافة إلى الحياة البيولوجية. كما أننا نجد في النشاط المكثف والتكاثر في الحشرات، مثلاً، شبهاً ضعيفاً جداً بنشاط الله وإبداعه الدائمين. كما نجد في الثدييات العليا بدايات المحبة الغريزية. وهي ليست نفس المحبة الموجودة في الله: لكنها تشبهها بنفس الطريقة التي يمكن لصورة مرسومة على ورقة مسطحة أن تشبه منظراً طبيعياً. وعندما نأتي إلى أسمى الثدييات، الإنسان، فإننا نكون أمام أكمل شبه نعرفه بالله. (وقد تكون هنالك عوالم أخرى أو كائنات أخرى، أكثر شبهاً بالله من الإنسان، لكننا لا نعرف عنها). فالإنسان لا يحب فحسب، ولكنه يفكر أيضاً: والحياة البيولوجية تصل

فيه إلى أعلى مستوى معروف.»

نقرأ في (عبرانيين ١١:١٧) أن اسحق يدعى وحيد إبراهيم (حرفياً ابنه المولود الوحيد) على الرغم من أنه كان لإبراهيم ابنان اسحق واسماعيل. وهكذا نجد أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يستخدم تعبير «مولود» ليعبر عن معنى «أنه فريد، ومبارك بشكل خاص أو مفضل.» وينطبق نفس الأمر على (يوحنا ٣:١٦) (والفرق الوحيد هو أن لله ابناً واحداً بينما كان لإبراهيم ابنان).

وتعبير «المولود الوحيد» مترجم عن كلمة «مونوجينيس» المكونة من كلمتين: الكلمة الأولى هي مونو وتعني «مفرد فقط، وحيد، وحده.» والكلمة الثانية هي «جينيس» وتعني «ذرية، ابن، نوع، جنس، فصيلة.» إنها كلمة مركبة وتعني أنه «نوع فريد.»

يسوع كان إنساناً

قد يشكل قول الكتاب المقدس الواضح أن يسوّع كان إنساناً حجر عثرة يمكن أن يمنع بعض الأفراد من قبول لاهوته. فنحن نقرأ مثلاً، «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح» (١تيموثاوس ٥:٢). كما تتحدث رومية ٥:١٢-٢١ عن الخطية التي كفّر عنها الإنسان يسوع المسيح (عدد ١٥).
على الرغم من أن الكتاب المقدس يعلّم فعلاً أن يسوع كان إنساناً فإنه يعلّم أيضاً أنه الله. كان إنساناً، فقد ولد من العذراء مريم، لكنه كان أيضاً الله (يوحنا ١:١؛ ٢٠:١٤-٢٨؛ كولوسي ٩:٢؛ تيطس ١٣:٢؛ ٢بطرس

١:١؛ عبرانيين ١:٨). كما أكد بولس على لاهوت يسوع عندما قال بأنه لم يأخذ رسالته من إنسان، وإنما من يسوع المسيح (غلاطية ١:١). كان يسوع إنساناً، ولكنه كان أيضاً «يهوه» و«ابن الله» و«رب الأرباب» و«ملك الملوك» و« الألف والياء» و«الأول والآخر.»

دُعيَ يسوع بكر الخليقة

تسبب كلمة «بكر» الارتباك لبعض الناس الذين يعتقدون أنها لابد أن تعني «المخلوق الأول.» وهذا يعني لهم أنّ يسوع لم يكن إلا كائناً مخلوقاً، غير أزلي أو أبدي مثل الله.
غير أن كلمة «بكر» لا تعني أول مخلوق. فعندما صرح بولس بأن المسيح هو «بكر كل خليقة» (كولوسي ١:١٥)، استخدم الكلمة اليونانية «بروتوتوكوس» التي تعني الوريث، الأول رتبة. ولو قصد أن يقول «أول مخلوق» لاستخدم الكلمة اليونانية التي تفيد ذلك المعنى وهي «بروتوكتستوس.» لا يقول الكتاب المقدس في أي موضع منه أن الله «خلق» يسوع.
كتب لويس سبري شيفر في كتابه لاهوت شخص المسيح: «يشير هذا اللقب الذي يترجم أحياناً «بكر» إلى أنّ يسوع هو البكر الرئيس في علاقته مع كل الخليقة، لا أول شيء مخلوق، وإنما السابق والمتقدم لكل الأشياء وسببها أو علتها أيضاً (كولوسي ١:١٦). لم يكن ممكناً أن يكون أول كائن مخلوق وفي نفس الوقت العامل الذي ظهرت كل الخليقة بواسطته إلى الوجود كما تقول كلمة الله. فإذا كان هو العامل في كل الخليقة، لا يمكن أن يكون هو نفسه مخلوقاً.

يسوع والله واحدٌ في الاتفاق أو القصد

قال يسوع، «... أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠:٢٨-٣٠). هل كان يسوع يقول أنه واحد مع الله أو أنه نفس الله، أي أنه يحمل نفس جوهر الله (كما أن الثلج والماء واحد في الطبيعة)، أو هل كان يقول بأنّ وحدته مع الله هي وحدة اتفاق أو انسجام في القصد أو الهدف؟ لاشك أنّ النص يشير إلى الفريضة الأولى.

أولاً: لقد فهم اليهود الذين كان يخاطبهم يسوع - الذين كانوا ثقافياً في وضع يسمح لهم بتفسير كلماته أفضل من أي شخص يعيش بعد ألفي سنة - أنه كان يعني أنه الله. «فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه، لأجل التجديف. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً (حرفياً الله)» (يوحنا ١٠:٣١،٣٣). ثانياً: كلمة «واحد» المستخدمة في «أنا والآب واحد» هي في اليونانية «هِن» التي تدل على الحيادية من حيث الجنس، ولا تدل على المذكر كما في كلمة «هيس.» وهذا يشير إلى أنّ يسوع والآب واحد من حيث الجوهر. ولو استخدم صيغة المذكر «هيس» لعنى بأنهما كانا شخصاً (أقنوماً) واحداً، مما كان ينفي التمييز الشخصي بين الآب والابن.

يعكس لنا ما تبقى من الأصحاح العاشر من إنجيل يوحنا رد فعل يسوع لتهمة التجديف. بالنسبة ليهودي متمرس في الشريعة، كانت كلمات يسوع تعني شيئاً. أما بالنسبة لأي شخص غير مطّلع على الفهم اليهودي للعهد القديم، فقد تكون هذه الفقرة صعبة عسرة الفهم، خاصة فيما يتعلق بقضية لاهوت المسيح. تقول كلمة الله:

«أجابهم يسوع: أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت أنكم آلهة؟ إن قال

آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب، فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له أنك تجدف لأني قلت إني ابن الله. إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه. فطلبوا أيضاً أن يمسكوه فخرج من أيديهم» (يوحنا ١٠:٣٤-٣٩).

يرجع قدر كبير من الارتباك إلى استخدام يسوع كلمة آلهةً. فهل كان يقصد، «ما دام أن هناك أشخاصاً آخرين قد دعوا آلهة، فما الذي يمنع أن أدعو نفسي ابن الله؟» (وهو بهذا يدعو نفسه بشكل غير مباشر إنساناً لا إلهاً)؟

نجد «أنا قلت أنكم آلهة» في (مزمور ٨٢:٦). وكلمة آلهة المستخدمة في المزمور هي الكلمة العبرية «إيلوهيم» (إيلوه=إله، إيم= (للجمع) آلهة). إنّ الإشارة إلى الله بكلمة «ألوهيم» في العهد القديم لا تعني بأن الكتاب المقدس يُعلّم وجود آلهة متعددة. فالكتاب المقدس يستخدم دائماً الصيغة المفردة من الفعل مع كلمة إيلوهيم عند الإشارة إلى الله. (مثلاً، في البدء خلق (مفرد) الله (جمع ألوهيم)، السموات والأرض - تكوين ١:١). فالكتاب المقدس ثابت ومتوافق مع نفسه في تعليمه عقيدة الثالوث الأقدس. فنحن نجد في (متّى ٢٨:١٩)، «باسم الآب والابن والروح القدس» أنّ كلمة اسم (وهي تدل على المفرد في اللغة اليونانية) مستخدمة للتعبير عن «الآب والابن والروح القدس»، الذين يشكلون اسماً واحداً. وتعبير آلهة (إيلوهيم) المستخدم في (مزمور ٨٢:٦) يشير إلى القضاة اليهود الذين يفترض فيهم أن يتصرفوا «كالله» مع الشعب، بمعنى أن يكونوا عادلين ومنصفين وما إلى ذلك. ومن الواضح أنهم لم يكونوا آلهة بالمعنى الحرفي للكلمة. نجد نفس التعبير مستخدماً في (خروج ٢١:١-٦ و٢٨،٢٢:٩). فالكلمة العبرية المستخدمة هنا هي إيلوهيم (المترجمة إلى الله في اللغة العربية) مترجمة إلى قضاة في اللغة الإنجليزية.

هذا هو سياق العهد القديم الذي كان يسوع يشير إليه. لماذا؟ كان يسوع على ما يبدو يسألهم لماذا غضبوا كثيراً لاستخدامه تعبير ابن الله. فقد عرفوا مثل هذا التعبير في الماضي، (أي أنّ هناك أشخاصاً سبق أن دعوا آلهة في مزمور ٨٢). فالمسألة المطروحة أمامهم كانت كما يلي: «لا تتوقفوا عند استخدام هذا التعبير. انظروا إلي أنا. انظروا إلى أعمالي؟ هل هي من الله؟ فإذا كانت كذلك، صدقوا ما أقوله بما في ذلك الأسماء التي أطلقها على نفسي.»

من الواضح أنّ يسوع لم يكن ينكر ما سبق أن نسبه لنفسه من ألوهية. لكنه قدّم لليهود تصريحاً شجاعاً، وتحداهم أن يفحصوا أعماله ليروا إذا كانت تُعطي مصداقية لقوله، «أنا والآب واحد.»

يتدرج الجدل هنا من الأدنى إلى الأعلى. إذا كان الله قد دعا أشخاصاً آلهة (بصورة رمزية)، فكم بالأحرى يكون مناسباً «للذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم» (وهذا ما لا ينطبق بالتأكيد على قضاة العهد القديم) أن يدعو نفسه ابن الله. الذي يعمل أعمال الله: فيقيم الموتى، ويمنح الحياة الأبدية، ويحفظ الخليقة ويغيرها (محوّلاً الماء إلى خمر، ومهدئاً العواصف، . . . الخ).

كانت ليسوع معرفة محدودة

كانت ليسوع كإنسان معرفة محدودة. تحدث عن مجيئه ثانية فقال، «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن، إلاّ الآب» (مرقس ١٣:٣٢). كما ناقشنا سابقاً، اختار يسوع في دوره «كعبد» أن يعيش الحياة هنا حسب الشروط والمعطيات البشرية على الأرض، واضعاً ثقته في قدرة أبيه، لا قدرته. فقد قال مثلاً، «لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً» (يوحنا ٥:١٩). و«أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً» (يوحنا ٥:٣٠) و«في كل حين أفعل ما يرضيه» (يوحنا ٨:٢٩) و«الآب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال» (يوحنا ١٤:١٠).
قال يسوع في هيئته كإنسان بأنه لم يعرف ساعة عودته. وسبب ذلك أنه حدد نفسه وفرض عليها حدوداً كعبد. ليس أنه لم يكن معادلاً لله، ولكن لأنه اختار بمحض إرادته ألا يمارس كل امتيازاته الإلهية.

«ليس صالحاً إلا الله وحده»

اقترب أحدهم من يسوع وقال له، «أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع، لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو الله» (مرقس ١٠:١٧-١٨). قد يبدو للوهلة الأولى أنّ يسوع كان بقوله هذا ينفي لاهوته. وواقع الأمر مختلف. فقد كان يشدد على أنّ الله وحده صالح. والكتاب المقدس واضح حول صلاح المسيح. فالكتاب المقدس يدعوه «القدوس» و«البار» و«البريء» و«المنفصل عن الخطاة» و«بلا عيب» (أعمال ٣:١٤؛ ٢كورنثوس ٥:٢١؛ عبرانيين ٤:١٥، ٧:٢٦؛ ١بطرس ٢:٢٢؛ ١يوحنا ٣:٥). إذاً يسوع صالح بكل مقاييس الصلاح الحقيقية. وبهذا يشترك يسوع في إحدى صفات الله، ألا وهي الصلاح.

هناك سبب محتمل دعا يسوع إلى قول ما قاله للرجل، ألا وهو قياس عمق وعي الرجل لهوية المسيح وشخصه، ومدى جديته في اتباعه. فبعد أن أعلم يسوع الرجل أنه لا صالح إلاّ الله وحده، طلب منه أن يبيع كل ممتلكاته ويتبعه كتلميذ. لاحظ أنه لم يقل له «اتبع الله» وإنما «اتبعني.» وهكذا تنتهي هذه الفقرة بانطباع مخالف للانطباعات الأولى لبداياتها فهي تدعم لاهوت المسيح دعماً قوياً.

وتلخيصاً لما قبل، فإن كل الأسباب تقريباً التي تقدم لإنكار أنّ يسوع هو الله، تنبع من سوء فهم لرسالة فيلبي ٢:٦-١١ التي تعلّم أن ليسوع طبيعتين: بشرية وإلهية، فقد «وُجِد» يسوع في هيئتين: كالله (عدد ٦) وكإنسان عبد، (عدد ٧). يقول النص بأن حالته الأولى كانت مركزاً من المساواة أو المعادلة لله. أما حالته الثانية فكانت مركزاً من الإتضاع. إنّ كل الأعداد تقريباً التي تستخدم لمحاولة القول بأنّ يسوع لم يكن معادلاً لله والآب، وأنه لذلك ليس واحداً مع الله، تقارن يسوع في حالته المتضعة كإنسان بمركز الله الممجّد في السماء. والحقيقة التي يحاول القائلون بهذا تجاهلها هي أنّ يسوع ترك مركزه المجيد من المساواة مع الله الآب لكي يصبح إنساناً، ويموت عن خطايا الناس، ويقوم من بين الأموات، ويمجّد مرة أخرى.

الفصل الثامن

هل المسيح هو الرب إلهك؟

على المرء في مرحلة ما بعد دراسة الأدلة المتوفرة بين يديه، أن يقرر ما إذا كان سيؤمن بلاهوت المسيح أم لا. يتفق معظم الذين يطلقون على أنفسهم لقب مسيحيين على أنّ يسوع عاش ومات ودفن وقام ثانية. غير أن يسوع قال إن لم تؤمنوا أني أنا هو Ego eimi تموتون في خطاياكم (يوحنا ٨:٢٤). وكتب بولس، «إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت» (رومية ١٠:٩). إذا كان المسيح إلهاً كان الإيمان بلاهوته ضرورياً للخلاص، فإننا نخاطر بأشياء كثيرة إذا رفضنا الإيمان به.

أوضح سي.أس.لويس موضوع لاهوت المسيح عندما كتب إلى صديق متشكك اسمه آرثر جريفر:

أعتقد أن الصعوبة الكبيرة تكمن فيما يلي: إن لم يكن الله، فمن هو؟ فقد رأيت في متّى ٢٨:١٩ افتتاحية المعمودية «باسم الآب والابن والروح القدس.» من هو هذا الابن؟ هل الروح القدس إنسان؟ إذا لم يكن كذلك، فهل أرسله إنسان (أنظر يوحنا ١٥:٢٦)؟ يقول كولوسي ١:٧، «الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل.» أي نوع من البشر هذا؟ ناهيك عن افتتاحية إنجيل يوحنا، «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله.» خذ شيئاً أقل وضوحاً بكثير، عندما يبكي يسوع على أورشليم (متى ٢٣)، لماذا يقول فجأة (عدد ٣٤) «...أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء ...» من يمكنه قول مثل هذا الأمر إلاّ الله أو شخص معتوه؟ من هو هذا الإنسان الذي يتجوّل مُعلناً غفرانه لخطايا الناس؟ أو ماذا عن (مرقس ٢:١٨-١٩)؟ أي إنسان هذا الذي يعلن، نظراً لحضوره أو

وجوده. إلغاء أو تعليق أعمال التوبة مثل الصوم؟ فمن الذي يستطيع تعطيل الدوام الدراسي نصف يوم غير المدير؟
يبدو لي أنّ عقيدة لاهوت المسيح ليس أمراً يمكنك التخلص منه أو تجاهله. ولكنها أمر يلوح في كل نقطة وزاوية بحيث يتوجب عليك أن تحل كل خيوط النسيج لتتخلص منه. يمكنك بالطبع أن ترفض بعض هذه الفقرات بحجة أنها غير حقيقية أو أصلية، لكني أستطيع أن أوجه نفس الإلهام للكتاب الذي تؤمن به، إذا رغبتُ في أن ألعب نفس لعبتك. عندما يقول الكتاب المقدس بأنّ الله لا يمكن أن يجرَّب، فإني أقبل هذا الأمر على أنه حقيقة واضحة. فلا يمكنِ لله، كإله، أن يجرَّب بالشرور، كما لا يمكنه أن يموت، وقد أصبح إنساناً حتى يعمل ويعاني ما لا يمكنه كإله أن يعمله ويعانيه كالله. وإذا نزعت من المسيحية لاهوت المسيح، فما الذي يبقى منها؟ فكيف يمكن أن يكون لموت إنسان واحد كل هذا التأثير على جميع الناس، وهو الأمر المُعلن على مدى العهد الجديد؟»

هذا هو بيت القصيد - لا يمكن لإنسان واحد أن يُحدث أي تأثير خاص على كل البشرية. الله الابن وحده هو الذي يستطيع التكفير عن خطايا كل الجنس البشري. ولا يمكن لأي بديل جزئي أن يقوم بهذه المهمّة ويرضي الله الآب.
إنّ فداءنا، وهو النقطة الجوهرية التي ترتكز عليها المسيحية، تعتمد على كون المسيح لا إنساناً فحسب، ولكن الله أيضاً. لقد اضطر «حَمَلُ فِصْحِنا» أن يكون خروفاً من القطيع حتى يتعذب ويصلب ويموت ويدفن. الله غير مؤهل أن يكون أخاً لنا، لكن ابنه يستطيع ذلك.
كثيرون من الذين ينكرون لاهوت المسيح يقولون إنّ أموراً كالثالوث الأقدس وطبيعة المسيح «مستحيلة» أو «غير معقولة.» فهم يقولون، لا يمكن أن يصلب الله، فالله روح ولا يمكن أن يقدّم الله نفسه لنفسه ولا يمكن أن يولد الله. كل هذه الاعتراضات تتجاهل حقيقة التجسد، وأنّ الابن

هو الذي قدّم نفسه للآب، وأنّ كل شيء مستطاع لدى الله.

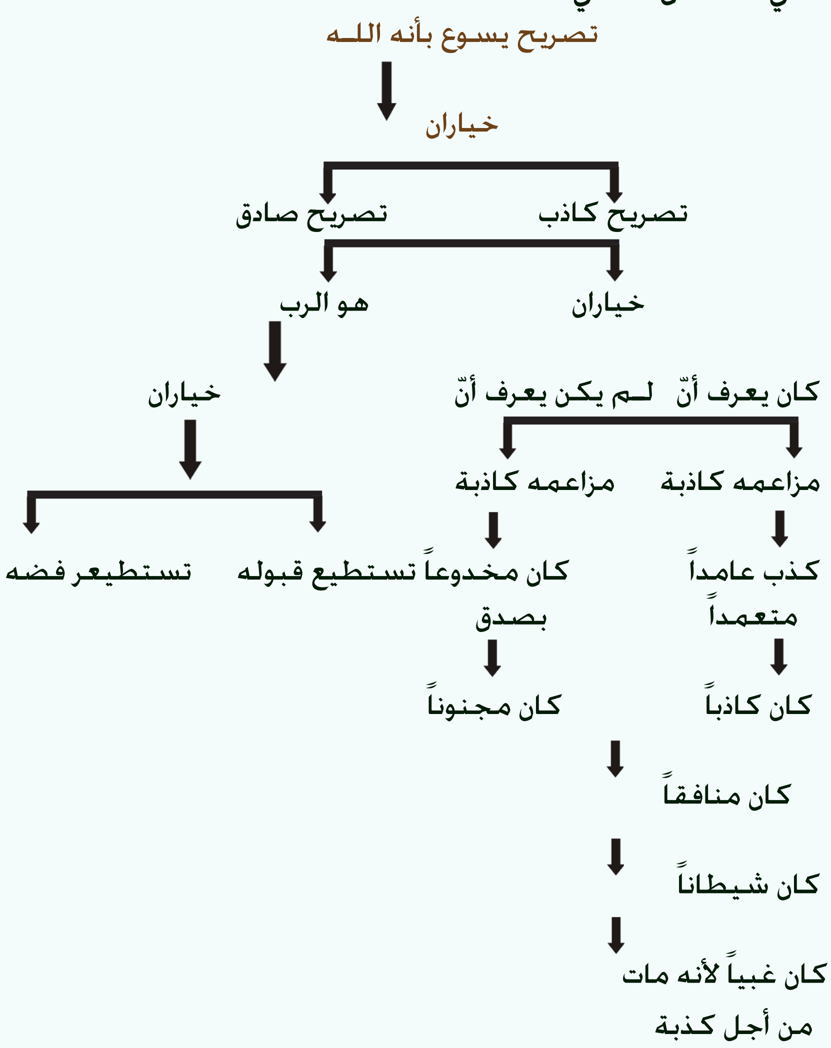
يجب ألاّ نسمح لتصوراتنا حول ما هو معقول أو ممكن أن تحكم إعلان الله عن نفسه. فالمسألة المطروحة هنا هي ما قاله الله، وليس قدرتنا على استيعابه استيعاباً كاملاً.

عندما نقرأ البشائر الأربعة، نرى أن يسوع أثار ثلاثة ردود فعل رئيسية بين الناس في زمنه: البغض، الذعر، أو العبادة. لم يكن بإمكان أحد من الناس أن يبقى محايداً بعد سماعه لتصريحاته عن نفسه. فقد حضّر يسوع المسرح لكل فرد بحيث لا يعود أمامه خيار ثالث، فإمّا أن يقبله أو يرفضه.

انتهى الأمر ببطرس الذي أنكره ثلاث مرات إلى أن يموت شهيداً بسبب قناعته أنّ يسوع هو الله المتجسد. عندما سأل المسيح بطرس عمن يكون أجاب، «أنت هو المسيح ابن الله الحي» (متى ١٦:١٦). لم يستجب يسوع لقول بطرس بتصحيح النتيجة التي توصّل إليها، وإنما بالاعتراف بشرعيتها وصحتها ومصدرها، «طوبى لك يا سمعان بن يونا، فإنّ دماً ولحماً لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات» (متى ١٦:١٧).

كثيراً ما أطلق على توما لقب «الشكاك» لأنه شك في قيامة يسوع. لكن بعد أن قدم له المسيح نفسه دليلاً قاطعاً على قيامته من بين الأموات، صرخ توما معترفاً بالمسيح الرب مُقدِّماً له العبادة، «ربي وإلهي» (يوحنا ٢٠:٢٨).

ومنذ ذلك الوقت اختبر أشخاص كثيرون عبر القرون صراعاً مُتشابهاً عندما جوبهوا بسؤال يسوع. «من تقول إني أنا؟» تواجهنا مشكلة صوّرناها في الشكل التالي:



لمزيد من الإيضاح حول الشكل السابق - اقرأ كتاب «برهان يتطلب قراراً» (الفصل السابع)، وكتاب «مزيد من البراهين التي تتطلب قراراً» (الفصل الثاني). لمزيد من الأدلة التاريخية المؤيدة للاهوت المسيح، اقرأ كتاب «عامل القيامة.» كل هذه الكتب من تأليف جوش ماكدويل أحد مؤلفي هذا الكتاب.

وماذا عنك؟ ماذا تظن في المسيح؟ هل أنت متديّن فقط، أم لك علاقة شخصية مع الله الحي من خلال ابنه يسوع المسيح؟ هناك أدلة كافية لدعم اعتقاد المرء بلاهوت المسيح للأشخاص المستعدين أن يتخذوا قراراً. بعد أن صرخ توما «ربي وإلهي» أجاب يسوع، «لأنك رأيتني آمنت؟ طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يوحنا ٢٠:٢٩).

الفصل التاسع

كيف اكتشف الكاتبان الحياة الجديدة في المسيح؟

بارت لارسون

«بدأت تساؤلاتي حول أهمية المسيحية - أكثر من مجرد النظام العادي لمدرسة الأحد - كطفل عندما كنت أشاهد الواعظ المشهور بيلي جراهام. كنت حتى ذلك الحين قد حكمت على معظم المسيحيين بأنهم منافقون أو غريبو الأطوار. ولم تكن أي من هاتين الصيغتين جذابة. وعندما استمعت إلى الدكتور جراهام وهو يعظ، أحسست كما لو أن قلبي سينفجر. فعلى الرغم أني كنت غير موضوعي (متأثراً بمشاعري وأفكاري الشخصية)، أحسست بحضور الله في الغرفة معي.

كانت إحدى الأفكار التي عبّر عنها الدكتور جراهام هي أنّ الله مُطلق النقاء والطهارة والبِر، وأننا نحن البشر خطاة (أي أننا كلنا تمردنا على الله بطريقة إيجابية وسلبية ولم نصل إلى مقياس كماله). لقد كانت حالتيٍ كحالة ذلك القاتل الذي مَثُلَ أمام القاضي للمحاكمة، فقال مُدافعاً عن نفسه، «لكن أنظر يا سيدي القاضي إلى كل الناس الذين لم أقتلهم!» عرفت أننا كبشر نقف مذنبين ملومين أمام إله قدوس بار، وأننا إذا ذهبنا إلى السماء بدون تغيير أساسي في طبيعتنا، فسنلوثها ونفسدها.

شعرت بالذنب على الرغم من محاولتي الشديدة لإنكار ذلك وإبعاده عنّي. فأنا لم أعش حسب مقاييسي الخاصة ناهيك عن مقاييس الله. قال الدكتور جراهام إنّ الذهاب إلىٍ الكنيسة ليس كافياً. فدخول الكنيسة لا يجعل من الإنسان مسيحياً (تماماً كما لا يجعلك دخول كراج سيارات

سيارة)، وأن صيرورة الإنسان مؤمناً بالمسيح تتطلب إيماناً نشطاً فعالاً، لا إيماناً سلبياً.

نستطيع أن نقرّب مفهوم الإيمان الفعال بأن نضرب مثلاً توضيحياً عن لاعب سيرك تمكّن من العبور فوق شلالات نياجارا على حبل رفيع حاملاً على ظهره كيساً من الرمل يزن خمسين كيلو غراماً. بعد أن أنهى محاولته بنجاح، سأل أحد المتفرجين، هل تؤمن أني أستطيع أن أفعل ذلك مرة أخرى؟ أجاب المتفرج أنا متأكد من ذلك. فرمى لاعب السيرك كيس الرمل عن ظهره وقال له، «إذاً اركب ظهري ودعني أحملك.»

الإيمان الحقيقي هو أكثر بكثير من مجرد الموافقة العقلية على المبادئ المسيحية. إنه الاستعداد للركوب والمخاطرة بحياتنا. وأي شيء أقل من ذلك ليس «إيماناً» بالمعنى الكِتابي للكلمة.

سمعت مرة قصة عن قاضٍ أحضرت ابنته إلى محكمته بتهمة السواقة بسرعة زائدة. وفرض عليها أكبر غرامة ممكنة مما أدهش جميع الحاضرين. ثم نزل من على كرسي القضاء، وأخرج محفظته ودفع الغرامة عنها. وهكذا تم إرضاء كل من القانون المُطالب بالعدالة وقلب الآب المحب. شرح الدكتور جراهام ما سبق أن فعله الله في شخص يسوع - فقد نزل الله وتنازل وأصبح إنساناً ليموت من أجل الجنس البشري لأنه أحبنا.

أضاف الدكتور جراهام بأن علينا أن نكون مستعدين للاعتراف بخطيتنا وقبول غفران الله لنا من خلال الإيمان بموت المسيح وقيامته من أجلنا. لا يمكننا أبداً أن نعمل لكسب هذا الغفران أو دفع ثمنه. فهو هبة يمكننا أن نقبلها أو نرفضها.

أجّلت موضوع إيماني بالمسيح لعدة سنوات، وكان أحد أسباب ذلك هو أنه مرّ عليّ وقت لا بأس به قبل أن أقابل مؤمنين حقيقيين بالمسيح احترمهم. وكان هناك سبب آخر وهو أني كنت مرتبكاً ومحتاراً بالنسبة لما يتوجب عليّ أن أفعله لكي أصبح مؤمناً بالمسيح. وأخيراً جاء ذلك اليوم. شرح لي أحد الوعاظ المتكلمين على انفراد عن جو خالٍ من إمكانية الإحراج،

كيف يمكنني أن أصبح مؤمناً بالمسيح. (كنت قد رفضت في الماضي فرصاً أخرى خالطتها إمكانية الإحراج. فقد خشيت ألاّ أعرف ما يجب أن أفعله وأن أظهر بمظهر الأحمق).

وهكذا صلّيت بهدوء وأنا جالس في أحد المقاعد في اجتماع في مدرسة ثانوية في مدينة توبيكا في ولاية كانساس. وطلبت من المسيح أن يدخل حياتي. ومما أثار دهشتي العظيمة أنه فعل ذلك. ووجدت سلاماً لم أعرفه من قبل. واختفت مشاعر الذنب. وفاض بقلبي فرح جديد. وصار لي هدف أحيا من أجله. لقد دهشت وسعدت لاستجابة الله لدعائي. اكتشفت أنه مهتم بي.

كنت أحياناً أحس حتى كمسيحي أني كطفل موضوع في سلة متروك أمام عتبة الله. وأنه لم يكن لله، بصفته الله المحب، أي بديل عن قبولي وإدخالي. أمّا الآن، فأعرف أنّ هذا غير صحيح. لأن الله هو الذي اختارني بدافع محبته العظيمة (أفسس ٤:١،٥) وهو يقول لجميع الراغبين في القدوم إليه «تعالوا.»

ولا يسعني كشخص يهتم بك وعرف محبة الله إلاّ أن أشجعك، عزيزي القارئ، على ألاّ تبقى محايداً. فالله يحبك. وقد أثبت ذلك عندما أصبح إنساناً ومات من أجلك. وهذا هو غرض تجسد المسيح ولاهوته، وهو السبب الذي من أجله اشتركت مع جوش ماكدويل في تأليف هذا الكتاب.

جوش ماكدويل

بدأت بداية فكرية محاولاً تفنيد الكتاب المقدس كوثيقة تاريخية موثوقة، والقيامة كحدث تاريخي حقيقي، والمسيحية كبديل له علاقة بحياتنا. وبعد أن قمت بجمع الأدلة والبراهين التي ضَمَّنت كتبي بعضها، وجدت نفسي مُجبراً على الاستنتاج بأن كل حججي لا تصمد أمامها، وأن

يسوع المسيح هو ابن الله، تماماً كما قال عن نفسه.
أدت النتيجة التي توصلت إليها حول الموثوقية التاريخية للكتاب المقدس وشخص المسيح إلى صراع شديد بيني وبين نفسي. فقد كان عقلي يقول لي بأنّ كل هذا صحيح، لكن إرادتي كانت تسحبني في اتجاه آخر. اكتشفت أن صيرورة المرء مسيحياً مؤمناً يمكن أن يكون اختباراً يهز الكيان.
كان الإحساس بالذنب والخطية واضحاً في حياتي. وقام يسوع المسيح بوضع تحدٍ مباشر أمام إرادتي، وهو أن أضع ثقتي فيه مُخلِّصاً لي، ذلك المخلّص الذي مات على الصليب من أجل خطاياي. كانت الدعوة التي وجّهها لي كما يلي: «هاأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه» (رؤيا ٣:٢٠).
«وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يوحنا ١:١٢). لم يكن يهمني أنه مشى فعلاً على الماء أو حوّل الماء إلى خمر. فأنا لا أريد شخصاً مثله يغزو حياتي ويفسد عليّ تلذذي بالحفلات. لأنني إذا دعوته إلى دخول حياتي، فستكون تلك أسرع طريقة للقضاء على الاستمتاع بالوقت، والقضاء على سعيي لإشباع طموحي الذهني، وإعاقة أي قبول لي كباحث من قبل زملائي وأقراني.
وهكذا وصلت إلى تلك النقطة: فمن ناحية كان عقلي يقول لي بأنّ المسيحية صحيحة، وكانت إرادتي تقول من ناحية أخرى، «لا تعترف بذلك.» وفي كل مرة كنت في رفقة هؤلاء المؤمنين المتحمسين السعداء، كان الصراع يحتد. فإذا وُجدت مع أشخاص فرحين في الوقت الذي تكون فيه تعيساً، ضايقك هذا الأمر كثيراً. ولقد ضايقني هذا الأمر إلى درجة أني كنت أنهض وأركض هارباً من الغرفة.
وصل بي الأمر إلى أني كنت أذهب إلى الفراش الساعة العاشرة ليلاً دون أن أتمكن من النوم قبل الرابعة صباحاً. عرفت أنّ علي أن أخرج يسوع من عقلي قبل أن أفقده.

بداية جديدة

كنت منفتح الذهن ومقتنعاً عقلياً، فقررت في الساعة الثامنة والنصف من ١٩٥٩/٩/١٩ أثناء سنتي الدراسية الثانية في الجامعة، أن أتخذ خطوة الإيمان بالمسيح وأدعوه أن يدخل حياتي.

سألني أحدهم: «كيف تعرف؟»

قلت: «لقد كنت هناك. حدث الأمر معي أنا.»

صلّيت في تلك الليلة. صلّيت أربعة أمور حتى أؤسس علاقة مع الله. صلّيت من أجل علاقة شخصية مع ابنه يسوع المسيح المقام الحي. وعلى مدى فترة من الزمن غيرت تلك العلاقة حياتي.

أولاً، صليت «أيها الرب يسوع. أشكرك من أجل موتك على الصليب من أجلي.»

ثانياً، قلت «أعترف بكل الخطايا والأمور التي لا ترضيك في حياتي وأطلب منك أن تغفر لي خطاياي وتطهرني.» يقول الكتاب المقدس، «إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج.»

ثالثاً، قلت له «والآن حسب معرفتي أفتح باب قلبي وحياتي لك وأضع ثقتي فيك وأؤمن بك مخلّصاً ورباً. استلم قيادة حياتي. غيّرْني مبتدئاً من الداخل إلى الخارج. اجعلني ذلك الشخص الذي خلقتني لأكونه.»

وكان آخر شيء صلّيته، «أشكرك لأنك دخلت حياتي بالإيمان.» كان إيماناً أنتجه الروح القدس فيّ، مرتكزاً على الأدلة وعلى حقائق التاريخ وعلى كلمة الله. ربما سمعت أشخاصاً متدينيين يتحدثون عن اختبارات حقاً خارقة مرّوا بها عندما آمنوا بالمسيح، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث لي. بل إني بعد أن اتخذت قراري، أحسست بتدهور في صحتي، ورغبة في التقيؤ. وشعرت بأني مريض.

«ما الذي ورّطت نفسك فيه يا جوش؟» أحسست بالفعل بأني أصبت بالجنون - ويوافق بعض أصدقائي على ذلك!

تغيرات

لكني أستطيع أن أؤكد شيئاً واحداً. لقد اكتشفت أني في مدة تتراوح ما بين الستة أشهر والسنة لم أجن، بل إنّ حياتي تغيرت.

اشتركت في نقاش مع رئيس قسم التاريخ في إحدى الجامعات. قلت، لقد تغيّرت حياتي، فقاطعني بطريقة ساخرة نوعاً ما قائلاً، هل تحاول يا ماكدويل أن تقول لنا إنّ الله غير حياتك في القرن العشرين، في أية نواحي حدث هذا التغيير؟

بدأت أشرح التغيرات التي حدثت في حياتي لمدة خمسة وأربعين دقيقة إلى أن قاطعني قائلاً، «حسناً . . كفى.»

السلام العقلي.كانت إحدى النواحي التي حدثته عنها، قلقي. فقد كنت من النوع الذي يجب أن يشغل نفسه طوال الوقت. كنت دائم الانتقاد لأصدقائي عند الاجتماع بهم، وكنت أمشي في الحرم الجامعي، فيصبح رأسي دوامة من الصراعات. وكنت أجلس محاولاً الدراسة أو التفكير، لكن دون جدوى.

لكن بعد عدة أشهر من اتخاذي قرار الإيمان بالمسيح، بدأ يتطور لدي نوع من السلام العقلي. لا تُسئ فهمي فأنا لا أتحدث عن غياب الصراع. فإنّ ما وجدته في علاقتي مع يسوع المسيح لم يكن غياب الصراع بقدر ما هو القدرة على التعايش معه. وأنا لست مستعداً أن أقايضه بأي شيء في الوجود.

السيطرة على العصبية. كانت عصبيتي من النواحي التي شهدت تغيراً. فقد كنت أثور ثورة عارمة إذا نظر إليّ أحدهم نظرة تحدٍ أو استهزاء. وما زلت أحمل في جسدي آثاراً من شجار أثناء سنتي الأولى في الجامعة كدت أقتل فيها رجلاً. كانت عصبيتي جزءاً عضوياً مني، بحيث لم أسع إلى تغييرها بشكل واعٍ.

بعد أن وضعت ثقتيٍ في السيد المسيح، مررت بأزمة لأكتشف أن

عصبيتي اختفت. ولم أفقد أعصابي خلال العشرين السنة الماضية إلا مرة واحدة.

رجل أبغضته

هناك ناحية أخرى أفتخر بها. وأنا أذكرها هنا لأن هناك أشخاصاً كثيرين يحتاجون إلى نفس هذا التغيير في حياتهم من خلال علاقة مع المسيح المقام الحي. وهذه الناحية هي الحقد، أو لنقل المرارة.
كانت حياتي مليئة بالحقد. لم يكن هذا الأمر شيئاً ظاهراً للآخرين ولكنه كان نوعاً من الطحن الداخلي الذي يأكلني إذ كان الناس والأشياء والمسائل تثير ضيقي وسخطي. وككثيرين غيري، لم أحس بالأمان. فكلما قابلت شخصاً جديداً مختلفاً عني، أحسست بأنه يشكل تهديداً لي.
لم أكره شخصاً كما كرهت أبي، بل احتقرته، فقد كان سِكّير البلدة. وإذا كنت من بلدة صغيرة وكان أحد والديك سِكّيراً فلا بدّ أنك تعرف ما أتحدث عنه.
عرفت كل البلدة أمر أبي. أعتاد أصدقائي أن يأتوا إلى المدرسة ويطلقوا النكات حول ما يفعله والدي وسط البلدة. لم يعتقدوا أنّ هذا الأمر يزعجني. فقد كنت أضحك من الخارج، لكنني كنت أبكي من الداخل. كنت أذهب إلى الإسطبل حيث أرى أمي ممدّدة فوق روث البقر، بعد أن تتعرض للضرب من قِبَل أبي وتعجز عن النهوض.
وعند استضافتنا للأصدقاء، كنت آخذ والدي إلى مخزن الحبوب واربطه هناك وأوقف السيارة خلف المكان حتى لا يراه أحد. وكنا نقول لأصدقائنا بأنه ذهب إلى مكان ما حتى لا نصاب بالحرج. لا أعتقد أنّ أحداً يمكنه أن يكره شخصاً آخر كما كرهت أبي.

الكراهية تتحول إلى محبة

بعد حوالي خمسة أشهر من اتخاذي قرار قبول المسيح مخلّصاً ورباً لي، غمرت حياتي محبة لأبي - محبة من اللـه من خلال يسوع المسيح. نزعت هذه المحبة حقدي وقلبتني رأساً على عقب. كانت تلك المحبة من القوة بحيث استطعت أن أنظر إلى والدي وجهاً لوجه وأقول له، «يا أبي، أحبك.» وقد كنت أعني ما أقوله. ونظراً لبعض التصرفات التي كنت قد قمت بها نحوه، هزته كلماتي.

بعد وقت قصير من انتقالي إلى جامعة خاصة، تعرضت إلى حادث سيارة خطر. رجعت إلى البيت بعد وضع الجبص حول رقبتي. لن أنسى أبداً منظر أبي وهو يدخل غرفتي ليسألني، «يا بني كيف يمكنك أن تحب أباً مثلي؟» قلت له يا أبي قبل ستة أشهر كنت أحتقرك. وبعد ذلك حدثته عما توصلت إليه من استنتاجات حول يسوع المسيح. قلت له، «لقد سمحت للمسيح أن يدخل حياتي. وأنا لا أستطيع أن أفسر ما حصل تفسيراً كاملاً، لكني وجدت، نتيجة لهذه العلاقة، القدرة على أن أحِب وأَقْبَل لا أنت فحسب، ولكن كل الناس الآخرين كما هم.» بعد خمس وأربعين دقيقة حدث أحد أعظم الأشياء المثيرة في حياتي. فقد قال لي أحد أفراد عائلتي، شخص عرفني جيداً بحيث لا يمكنني أن أضع عصابة على عينيه حول حقيقتي، «يا ابني، إذا كان اللـه يستطيع أن يفعل في حياتي ما رأيته يفعل في حياتك، فإني أريد أن أتيح له هذه الفرصة.»

عادة ما تحدث التغيرات في حياة الناس على مدى أيام أو أسابيع أو أشهر أو حتى سنوات، لكن حياة والدي تغيرت أمام عيني. كان الأمر كما لو أن أحدهم أضاء مصباحاً كهربائياً. لم أرَ أبداً مثل هذا التغير السريع قبل ذلك أو بعده. لم يلمس والدي زجاجة الخمر بعد ذلك إلا مرة واحدة فقط. وصلت فيه الزجاجة إلى شفتيه دون أن يرشف منها ولو رشفة واحدة. إذ لم يعد يحتاجها.

إنها فعّالة

وصلت إلى استنتاج وحيد. وهو أن العلاقة مع يسوع المسيح تغيّر الحياة. تستطيع بجهل أن تهزأ بالمسيحية، تستطيع أن تسخر منها، لكنها ناجحة في تغيير حياة الناس. فإذا قررت أن تؤمن بالمسيح وتضع ثقتك به، ابدأ بمراقبة مواقفك وتصرفاتك - لأن شغل يسوع المسيح الشاغل هو تغيير حياة الناس وغفران خطاياهم وإزالة الإحساس بالذنب.

القرار لك

ليست المسيحية أمراً يمكن فرضه بالقوة على شخص أو إنزاله في حلقه رغماً عنه. فلَكَ حياتك ولي حياتي. وكل ما أستطيع أن أفعله هو أن أخبرك بما عرفته واكتشفته. أما بعد ذلك، فالأمر متروك لك. وكما تقول زوجتي، «المسيح قام من بين الأموات، ولهذا فهو حي. ولأنه حي فهو يمتلك قدرة لا متناهية على الدخول إلى حياة أي رجل أو امرأة ويغيّره أو يغيّرها مبتدئاً من الداخل إلى الخارج.»

فالعنصر الأساسي هو القيامة. فالمسيح قد قام.

إنها قضية شخصية

لقد حدثتك كيف تجاوبتُ مع تصريحات المسيح عن نفسه. وقد جاء دورك الآن لتسأل السؤال المنطقي التالي، «ما الذي تعنيه كل هذه الأدلة والبراهين لي؟ أي فرق سيحدثه إيماني أو عدمه بموت المسيح على الصليب من أجل خطاياي وقيامته من الأموات؟» لقد قدّم يسوع أفضل إجابة عن هذه السؤال لرجل شك فيه، وهو توما. قال له: «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي.» (يوحنا ١٤:٦).

بناءً على كل براهين قيامة المسيح، واعتباراً لحقيقة أنّ يسوع يعرض

علينا غفران خطايانا، وعلاقة أبدية مع اللـه، فمن هو هذا الطائش الأحمق الذي سيرفضه؟ المسيح حي. وهو حي اليوم.
تستطيع أن تضع ثقتك الآن باللـه من خلال الصلاة أو الدعاء. فالصلاة هي التحدث مع اللـه. وهو يعرف قلبك ولا تهمه كلماتك المنتقاة بقدر ما يهمه موقفك القلبي. إذا لـم تكن قد وضعت ثقتك في المسيح في الماضي فإنّ بإمكانك أن تفعل ذلك الآن.
كانت الصلاة التي رفعتُها كما يلي: «أيها الرب يسوع، أنا أحتاجك. أشكرك من أجل موتك على الصليب من أجل خطاياي. ها أنا أفتح باب حياتي لك وأقبلك مخلِّصاً لي. أشكرك لأنك غفرت خطاياي وأعطيتني حياة أبدية. اجعلني كما تريد. أشكرك لأنك مكّنتني من وضع ثقتي بك.»

عرض أمامك

إذا كنت قد وضعت ثقتك في المسيح، أو تعتقد أنك ستفعل ذلك في المستقبل القريب، أكتب لنا على العنوان التالي من أجل أي إيضاح:

هل سمعت

بالمبادئ الروحية الأربعة؟

كما توجد مبادئ (نواميس) طبيعيّة تسيطر على العالم المادّي، كذلك توجد مبادئ روحيّة تسيطر على علاقتك بالله.

المبدأ الأوّل

إنّ الله يحبّك ولديه خطّة مدهشة لحياتك.

محبّة الله

الله محبّة ومن يثبت في المحبّة يثبت في الله والله فيه».(١ يوحنا ٤: ١٦)

خطّه الله

قال يسوع: «أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (حياة ممتلئة وذات هدف) (يوحنا ١٠:١٠)

لماذا لا يختبر معظم الناس هذه الحياة الفضلى؟

المبدأ الثاني

لأنّ الإنسان **خاطئ ومنفصل** عن الله، فلا يقدر أن يعرف ويختبر محبّة **الله ولا الخطّة** التي رسمها لحياته.

الإنسان خاطئ

«إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله». (رومية ٣: ٢٣)

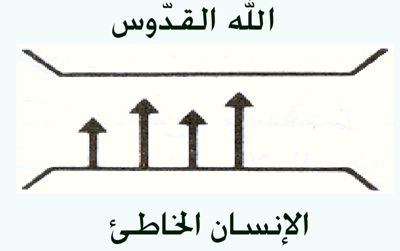
الله قدّوس:

قال الله: «... كونوا قدّيسين لأني أنا قدّوس». (١ بطرس ١: ١٦).

الإنسان منفصل عن الله

«لأنّ أجرة الخطيّة هي موت». (انفصال روحي عن الله) (رومية ٦: ٢٣)

الله القدّوس



الإنسان الخاطئ

الله قدّوس والإنسان خاطئ، وتفصل بين الاثنين هوّة عظيمة. غير أنّ الإنسان يحاول باستمرار الوصول إليه تعالى وإلى الحياة الفضلى بجهوده الشخصيّة: كالأعمال الصالحة، والتديّن، والأخلاق الجيّدة والفلسفة وغير ذلك. ولكن كل محاولات الإنسان الذاتيّة تبوء بالفشل.

خُلِقَ الإنسان ليكون في شركة مع الله، لكن بسبب إرادته الذاتيّة العنيدة اختار السلوك في طريقه المستقلّ فانقطعت الشركة بينهما. هذا الانفصال عن الله هو ما يسمّيه الكتاب المقدّس خطيّة، ويظهر في (١) التمرّد على الله، (٢) لا مبالاة الإنسان بأمور الله وأيضاً في(٣) التقصير في حفظ وصايا الله.

المبدأ الثالث يقدّم لنا الحلّ الوحيد لهذه المعضلة، وهو ...

المبدأ الثالث

إنّ يسوع المسيح هو علاج الله الوحيد لخطيّة الإنسان، وبواسطته وحده يمكنك أن تعرف محبّة الله وخطّته لحياتك. فالمسيح ...

(١) عجيب في ولادته:

لم يكن للمسح أب بشري. لأنّه حُبِلَ به بقوّة الروح القدس في أحشاء مريم العذراء. لذلك دعي ابن الله... «فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا

وأنا لست أعرف رجلاً؟ أجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحلّ عليك وقوّة العليّ تظلّلك. فلذلك أيضاً القدّوس المولود منك يدعى ابن الله». (لوقا ١: ٣٤-٣٥)

(٢) عجيب في موته:

وكما فدى الله ابن أبينا إبراهيم بكبش عجيب عندما أوشك أن يضحّي به لله، هكذا افتدى الله العالم كلّه بالكبش العظيم، يسوع المسيح، الذي مات عوضاً عنّا ليمحو خطايانا. أي أنّ المسيح بدافع محبّته قد حمل عقاب خطايانا. «وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال: هوّذا حمل الله الذي يرفع خطيّة العالم». (يوحنا ١:٢٩)

«لكنّ الله بيّن محبّته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا». (رومية ٥:٨)

(٣) عجيب في قيامته:

«إنّ المسيح مات من أجل خطايانا ... وإنّه دفن وإنّه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وإنّه ظهر لصفا (بطرس) ثمّ للاثني عشر وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمس مئة أخ».

(١ كورنثوس ١٥: ٣-٦)

لذلك فالمسيح هو الطريق الوحيد:

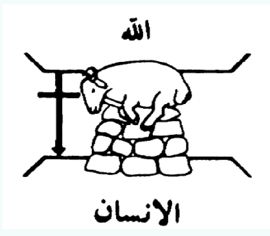
«قال له يسوع: أنا هو الطريق والحقّ والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي».

(يوحنا ١٤: ٦).

«لأنّه هكذا أحبّ الله العالم حتّى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كلّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبديّة». (يوحنا ٣: ١٦)

أقام الله جسراً فوق الهوّة التي تفصلنا عنه إذ أرسل يسوع المسيح ليموت عنّا على الصليب.

يسوع المسيح:
حمل الله القدّوس



لا يكفي أن تعرف هذه المبادئ الثلاثة وحسب .. أو أن تؤمن بها فقط ... بل ...

المبدأ الرابع

يجب على كلّ منّا أن يَقْبَل يسوع مخلِّصاً وسيّداً له. عندئذ نعرف ونختبر محبّة الله وخطّته لحياتنا.

ينبغي أن نقبل المسيح:

«أمّا كلّ الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه».

(يوحنا ١: ١٢).

نحن نقبل المسيح بالإيمان:

«لأنّكم بالنعمة مخلّصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطيّة الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد».(أفسس ٢: ٨،٩)

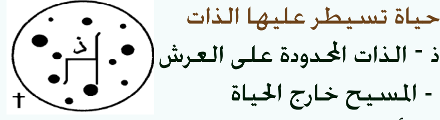
نحن نقبل المسيح بدعوة شخصيّة منّا:

قال يسوع: هأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه ... »

(رؤيا ٣: ٢٠).

يتضمّن قبول المسيح التحوّل من الذات إلى الله (التوبة) ثقة منّا بأنّ المسيح يدخل حياتنا ويغفر خطايانا ويجعلنا كما يريد هو ... ولا يكفي أن نقتنع عقليّاً بتصريحات المسيح أو نختبر اختباراً عاطفيّاً فقط.

تمثّل الدائرتان التاليتان نوعين من الحياة:



حياة تسيطر عليها الذات
ذ - الذات المحدودة على العرش
- المسيح خارج الحياة
الأهواء تحت سيطرة الذات

حياة يسيطر عليها المسيح
ذ - الذات الخاضعة للمسيح
- المسيح على عرش الحياة
اللامحدود فينجم عنها الانسجام
مع خطّة الله

المحدودة الأهواء تحت سيطرة الله

فينجم عنها الفوضى والفشل

أيّة دائرة منهما تمثّل حياتك الآن؟ أيّة دائرة تريد أن تمثّل حياتك منذ الآن؟

فيما يلي الكيفيّة التي بها تقدر أن تقبل المسيح:

يمكنك قبول المسيح الآن بالصلاة الواثقة بالله.(الصلاة هي محادثة مع الله).

الله يعرف قلبك ولا تهمّه اللّغة التي تستعملها بمقدار ما يهمّه إخلاصك القلبي. ونقترح عليك الصلاة التالية:

"أيّها الرب يسوع، أعترف بأنّي إنسان خاطئ، اغفر خطاياي، اقبلني ابناً (ابنة) لك، إنّني أفتح الآن باب قلبي وأقبلك مخلِّصاً وسيّداً لي. من اليوم أضع ثقتي بك، تربَّع على عرش حياتي واجعلني ذلك الإنسان الذي تريدني أن أكونه. أشكرك لأنّك سمعت لصلاتي. آمين".

هل تعبِّر هذه الصلاة عن رغبة قلبك؟

إن نعم، صلِّ الآن هذه الصلاة. وسيدخل المسيح قلبك كما وعد.

كيف تعلم أنّ المسيح في حياتك؟

هل قبلت المسيح في حياتك؟ بناء على وعده في رؤيا ٣: ٢٠، أين المسيح الآن بالنسبة لك؟ وعد المسيح أن يدخل قلبك. على أيّ أساس تتأكّد أنّ الله قد استجاب صلاتك؟ عن ماذا يُعبِّر الباب في هذه الآية؟ ما هو

دورك هنا؟ ما هو دور اللّٰه بحسب وعده؟ والسؤال الآن: هل قبلت المسيح في حياتك عندما صلّيت؟ على أي أساس تعلم أنّ اللّٰه قد استجاب لصلاتك؟... (بناء على أمانة اللّٰه وصدق كلمته).

يعد الكتاب المقدّس بالحياة الأبديّة لكلّ من يقبل المسيح

«وهذه هي الشهادة أنّ اللّٰه أعطانا حياة أبديّة وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن اللّٰه فليست له الحياة. كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن اللّٰه لكي تعلموا أنّ لكم حياة أبديّة». (١ يوحنا ١١:٥-١٣). بحسب هذه الآية: ماذا أصبح لك؟ أين توجد هذه الحياة؟ هل لك الابن؟ إذا كان لك الابن فماذا لك؟

أشكر اللّٰه دوماً لأنّ المسيح حالّ في حياتك ولأنّه لا يتركك ولا يهملك (عبرانيين ١٣: ٥). بناء على وعده، يمكنك الوثوق من أنّ المسيح الحيّ حالّ فيك وأنّ لك حياة أبديّة منذ اللحظة التي تدعوه فيها للدخول إلى قلبك، فهو لا يخدعك. هل يمكن أن يتركك المسيح بعد أن قبلته؟ إذا كان المسيح لن يتركك، كم مرّة تحتاج أن تدعوه ليدخل إلى حياتك؟ ماذا عن الشعور؟

لا تعتمد عليه.

أساس الخلاص هو وعد كلمة اللّٰه لا شعورك الشخصي. فالمسيحي يحيا بالإيمان (الثقة) بأمانة اللّٰه وصدق كلمته. يوضح لنا رسم السيّارة هذه العلاقة بين الحقّ (أي اللّٰه وكلامه) والإيمان (ثقتنا باللّٰه وكلامه) والشعور (نتيجة إيماننا وطاعتنا) (يوحنا ١٤: ٢١).



تستطيع السيّارة السير بمقطورة وبدون مقطورة. لكنّه من الجهالة بمكان محاولة جر السيّارة بالمقطورة.

هكذا نحن أيضاً كمؤمنين لا نعتمد على الشعور والعواطف بل نضع إيماننا (ثقتنا) في أمانة اللّه وصدق مواعيد كلمته المقدّسة.

أمّا وقد قبلت المسيح الآن ... فقد حدثت لك أمور كثيرة:

١. دخل المسيح إلى قلبك (رؤيا ٣: ٢٠، كولوسي ١: ٢٧).
٢. غفرت خطاياك (كولوسي ١:١٤).
٣. صرت ابناً للّه (يوحنا ١: ١٢)
٤. بدأت مغامرتك الكبرى التي خلقك اللّه لأجلها (يوحنا ١٠:١٠؛ ٢ كورنثوس ٥: ١٧؛ ١ تسالونيكي ٥: ١٨).
٥. نلت الحياة الأبديّة (١ يوحنا ٥: ١١-١٣؛ يوحنا ٣: ١٦).

هل تستطيع أن تفكّر بما هو أعظم من قبولك للمسيح؟
ما رأيك في أن تشكر اللّه الآن بالصلاة على ما فعله لأجلك؟
إنّ شكرك للّه في حدّ ذاته هو دليل إيمانك به.

ماذا بعد؟

اقتراحات للنموّ المسيحي:

إنّ النموّ الروحي هو ثمرة الثقة بيسوع لأنّ «البار بالإيمان يحيا». (غلاطية ٣ :١١). وستمكّنك حياة الإيمان من ائتمان اللّه أكثر فأكثر على كلّ أمورك وممارسة ما يلي:

١. أن تقترب من اللّه بالصلاة يوميّاً (يوحنا ١٥: ٧).
٢. أن تقرأ كلمة اللّه يوميّاً - مبتدئاً بإنجيل يوحنا (أعمال ١٧: ١١).
٣. أن تطيع اللّه لحظة فلحظة (يوحنا ١٤: ٢١)
٤. أن تشهد للمسيح بحياتك وأقوالك (متى ٤: ١٩؛ يوحنا ١٥: ٨).
٥. أن تثق باللّه في كلّ شؤون حياتك (١ بطرس ٥: ٧)
٦. أن تدع الروح القدس يسيطر على حياتك اليوميّة وشهادتك ويؤيّدهما بقوّته (غلاطية ٥: ١٦،١٧؛ أعمال ١: ٨).

أهمّيّة الكنيسة:

يحذّرنا كاتب الرسالة إلى العبرانيّين ١٠: ٢٥ من أن نكون «تاركين اجتماعنا ... » إنّ قطع الحطب مجتمعة تشتعل وتتأجّج، ولكن حالما تضع إحداها جانباً تنطفئ، هكذا هو الحال في علاقتك مع بقيّة المؤمنين. فإن كنت لم تنضمّ بعد إلى كنيسة ما فلا تنتظر من يدعوك إلى ذلك بل اتّخذ المبادرة واتّصل براعي أقرب كنيسة إليك يُمجّد فيها المسيح ويُكرز بكلمته. ابدأ هذا الأسبوع وليكن حضورك منتظماً.

هل ترغب في إطلاع غيرك على ما اكتشفت؟

إن كنت قد قبلت المسيح مخلّصاً شخصيّاً لك، فلا تتردّد بأن تبدأ بالشّهادة للآخرين فقد قال يسوع: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلّها» (مرقس ١٦: ١٥). أيضاً ستحتاج إلى دروس لكي تنمو في حياتك الجديدة هذه، وهذا سيتطلّب منك جلسة أسبوعيّة على الأقل. إن كنت تريد ذلك، فلا تتردّد بالاتصال بنا على العنوان:

حقيقة لاهوت
يسوع المسيح

ها الشمس ... في كبد السما

بدفئتها ... ونورها

وكفك الصغيرة لا تستطيع ... سترها

فهي هناك تسطع بالنور ... كي نحيا بها

لا تقدر أن تنكر حقيقة وجودها

هذي ألوهة المسيح ... ثابتة ...

هذي هي